المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب





الصُّورة البيانيّة في جُزْء الذّاريات : مقاماتها وأسرارها

رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد

إعداد الطالبة :
أسماء بنت عوض بن معيوض الجميعي
٣ - ٨٠١٧ - ٤٢٤
إشراف الأستاذ الدكتور :
محمد إبراهيم شادي

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾

{ سورة الرحمن ـــ الآيات : ١ ـــ ٤ }

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الرسالة : الصورة البيانية في جزء الذّاريات : مقاماتها وأسرارها

الدرجة العلمية : الماجستير في البلاغة والنقد

إعداد الطالبة : أسماء بنت عوض بن معيوض الجميعي

" ملخص الرسالة "

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله الأمين ... وبعد : فقد تناول البحث دراسة الصورة البيانية في جزء الذّاريات : مقاماتها وأسرارها ، وقد اشتمل على مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة فصول:

تناول التمهيد الأغراض العامة المشتركة بين سور جزء الذّاريات ، والأغراض التي تختص بها كل سورة.

وجاء الفصل الأول من الدراسة بعنوان " التشبيه في جزء الذّاريات : صياغاته وأغراضه "، فبعض أساليب التشبيه الواردة لمجرد المماثلة والبرهنة ، وبعضها جاءت للتصوير وبيان حالة الشئ وهيأته كتصوير النعيم للترغيب ، وتصوير العذاب للتحذير ، وغير ذلك من الأغراض . كما وقف البحث عند طرفي التشبيه حين يردان محسوسين ، وحين يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسياً، فلكل تشبيه صياغته وخصوصيته .

أما الفصل الثاني من الدراسة فقد تناول " الاستعارة في جزء الذّاريات : ظواهرها وأسرارها " ، من هذه الظواهر: الاستعارات التصريحية الشائعة وجواز إرادة المعنى الحقيقي والمجازي بلا تعارض والتعبير عن صورة مركبة بلفظة مفردة ... الخ .

وتناول الفصل الثالث " الكناية في جزء الذّاريات : ظواهرها وأسرارها " من هذه الظواهر : اللفظ المكنى به قد يكون جملة وقد يكون مفرداً ، وتآزر الكناية مع صورة أخرى لتقديم الغرض ...الخ.

وجاء الفصل الرابع في الدراسة بعنوان " فروق بين أساليب البيان عن المعنى الواحد في جزء الذّاريات " فدرست فيه ما اتفق معناه وتعدد أسلوبه وطريقة التعبير عنه ووقوع المعنى مصوراً تارة وحقيقة تارة أخرى .

وقد انتهيت إلى أن سور جزء الذّاريات مرتبة في المصحف ترتيباً متناسباً وذلك من حيث اشتراكها في أغراض عامة تجمع فيما بينها ، وأن المعاني في هذا الجزء مرتبطة ومتداخلة ويكمل بعضها البعض ، وأن عناصر التصوير متفاعلة في إطار النظم المعجز ، كما سجلت في الخاتمة أهم نتائج البحث وذيّلته بفهارس عامة شملت فهرس الآيات القرآنية وفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات ، والحمد لله أولاً وآخراً .

الباحثة	المشرف
أسماء بنت عوض الجميعي	أ . د . محمد إبراهيم شادي

Thesis Abstract

Name of student: Asma Awad Al-Jumaey

Title of thesis: Rhetorical Figures In The Suwar Of Al-Dhariyat (part twenty seven) Of The Holy Quran: Their forms, purposes and literary secrets.

Master's degree

The aim of this research is to study the rhetorical figures in Al- Dhariyat part (twenty seven) of the Quran. It consists of a preface, four chapters and conclusion.

The preface discussed the general objectives that the seven suwar in this part share, and the specific objectives that each Sura has.

The first chapter discussed the simile in this part: its forms, functions and purposes. Similes mean describing a situation through comparison. Each form of simile has its own way of speciality. The two parts of comparison can be perceptible. Sometimes the tenor can be mental and the vehicle perceptible.

The Second chapter discussed the metaphor in the suwar of al-Dhariyat part (twenty seven): Its phenomena and literary secrets. Some of these phenomena are: the common declarative metaphor - introducing the factual and metaphorical meaning without discordance - describing a compound figure with one word.

The Third chapter discussed metonymy in this part: its phenomena and literary secrets. Some of these phenomena are: the metonymical lexem can be a sentence and it can be a word - the metonymy can be associated with another rhetorical figure to achieve the aim.

The fourth chapter discussed the different rhetorical styles in expressing the same meaning in the suwar of al-Dhariyat part (twenty seven): the same meaning can be expressed in real factual way and metaphorical way.

Finally, I finished with the following results:

-The suwar of al-Dhariyat part (twenty seven) are arranged in a suitable way, all share the general objectives.

- Meanings and purposes in this part are coherent, overlapped, perfectly linked and complete each other.

- The elements of the rhetorical figures are structurally interacted in a miraculous way.

شكر وتقدير

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه أن أنعم عليّ بإنجاز هذا البحث ، فله الحمد أولاً وآخراً .

ثم أتقدم بخالص شكري إلى والدي الكريم الذي كان لي معلما ومربيا معا ، والذي غرس في نفسي حب العلم ، وإلى والدتي الحبيبة التي غمرتني بحبها وحنانها ورعايتها ودعواتها الصادقة ، وإلى إخوتي فقد شجعوني وأحاطوني بمحبتهم .

ثم أتوجه بعظيم الشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي الفاضل أ . د / محمد إبراهيم شادي ؛ لما شملني به من النصح والتوجيه والإرشاد ، وأفادني بخبرته وعلمه ، فجزاه الله عنّي خير الجزاء ، وبارك في علمه وعمله وأجزل له المثوبة في الدارين .

كما أتقدم بخالص شكري إلى المناقشين الفاضلين أ . د / حسن محمد باجودة أستاذ الدراسات القرآنية البيانية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة و أ . د / عبد الموجود متولي بهنسي إبراهيم أستاذ البلاغة والنقد بكلية التربية للبنات بمكة المكرمة الأقسام الأدبية لتكرمهما بمناقشة هذه الرسالة وسعيهما الدءوب لإفادة طلاب وطالبات العلم ، فأدعو الله أن ينفعني بنصحهما وآرائهما المفيدة وتوجيهاتهما القيّمة ، إنّه ولي ذلك والقادر عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمة

الحمد لله ربّ العالمين الّذي أنزل القرآن الكريم بلسانٍ عربي مُبين ، في أوْجَز لفظٍ ، وأفصح أُسْلُوبٍ ، فأعْيَت بلاغته البُلغاء ، وأعْجَزَت فصاحته الخُطَباء ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيّدنا محمد الذي أُرْسِل ليكون حُجّة البيان ، فأُوْتي جوامع الكَلِم في بلاغة قول ، وفصاحة لسان .

وبعد ...

فإنّ علم البلاغة من أرفع العلوم ذكراً ، وأجلّها قدراً ، وأشرفها غاية ، وأحقها بالتعلم بعد كتاب الله كما أشار أبو هلال العسكري [1] .

وقد آثرت ـــ مستعينة بالله ـــ أن تكون بدايتي مع البلاغة القرآنية لكي تطبع في ذهني صورة للأسلوب المعجز والصورة الراقية .

فوقع اختياري على موضوع " الصُّورة البيانيّة في جزء الذّاريات : مقاماتِها وأسرارِها" بتوفيق من الله عزّ وجل ثم بتوجيه من الأستاذ المشرف ـــ حفظه الله ـــ وهو موضوع جدير بأن تُفرد له دراسة علمية ، لأنه يجمع بين فضيلتين : الأولى : اتصاله بكتاب الله ، والثانية : قيامه على تراث علماء أجلاء من اللغويين والبلاغيين والمفسرين .

وتبرز أهمية الموضوع في كونه باباً من أبواب البلاغة المهمة الواسعة فالتشبيه وصياغاته وأغراضه ، والاستعارة وظواهرها وأسرارها ، والكناية وظواهرها وأسرارها من أوسع أبواب البلاغة ، فعلى الرغم من كونها علماً مستقلاً في الدرس البلاغي ، فهي في

[1] : يراجع كتاب الصناعتين ـــ الكتابة والشعر ـــ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، د . ت ، ص ٧ .

الوقت ذاته تتفاعل مع عناصر النظم . وقد نبه لذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني ــ رحمه الله ــ حين ربط الصورة بالنظم في مثل قوله تعالى : ﴿ ...وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا... ﴾ [1] .

وكان يدفعني لهذا الموضوع رغبة صادقة في الاتصال بكتاب الله ــ عز وجل ــ والوقوف على شئ من أسراره ومعانيه ، فهو كما قال عنه صلى الله عليه وسلم : " هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبه ... " [2] .

ومن المعروف أن الدراسات البلاغية لا تظهر قيمتها بشكل واضح إلا من خلال التطبيق على النصوص البليغة ، ومن ثم اخترت جانب التطبيق على القرآن الكريم ، وفي تقديري أن الدراسة التطبيقية للمكونات البلاغية في القرآن الكريم بعامة وفي الجزء الذي ندرسه الآن بخاصّة تُعدُ استثماراً حقيقياً لكل ما ندرسه من الناحية النظرية في الجانب البلاغي بل ولكل علوم اللغة ، كما أجدها من أفضل السبل لتذوق بلاغة القرآن والإحساس والانفعال بها ، ثم إن المطابقة لمقتضى الحال التي هي جوهر البلاغة إنما تتحقق على أرقى ما يكون في بلاغة القرآن .

وكان مما يدفعني لهذا البحث الوقوف على مقاصد وأغراض الصور البيانية ــ تشبيهية واستعارية وكنائية ــ في هذا الجزء من القرآن ، فهذه الصور البيانية تعد وسائل جذابة لتقديم المعاني الدينية والأخلاقية مقنعة ومؤثرة وعن طريقها يُمكن توصيل الأغراض وتحقيق المقاصد والغايات وتوضيح المعاني الخفية وتقريب الحقائق التي قد تبدو بعيدة ، وهي في القرآن الكريم ليست وسيلة جمالية ولكنها وسيلة أدائية مناسبة لتحقيقَ أغراض معينة .

---

[1] ــ سورة مريم آية ٤ .

[2] ــ الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق وتعليق : إبراهيم عطوه عوض ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ــ لبنان ، د. ط ، د. ت ، ٥/ ١٧٢ ــ ١٧٣ .

وقد وقع اختياري على جزء الذّاريات خاصة لأن سوره تتنوع بين المكي والمدني ، وبينهما من الفروق البيانية ما يحتاج إلى كشف وبيان ، كما تجتمع فيه أكثر أغراض القرآن الكريم المتصلة بالعقيدة والأحكام والدعوة والإصلاح ، وقد وجدت أن هذه السور قد اعتمدت في تقديم أغراضها على صور البيان اعتماداً ملحوظاً ، فصور البيان تتعدد تشكيلاتها وضروبها وإيقاعاتها بتعدد سورها وأغراض السور ومقاماتها .

ودراسة الجزء الكامل يعطي البحث حقه وحظّه من التأمل والموازنة بين الأساليب ، ومعرفة الفروق والدقائق اللطيفة بينها ، وبذلك نقترب بصورة أفضل من معرفة حقيقة الإعجاز البلاغي في القرآن ولو اقتصرت على دراسة الصورة البيانية في سورة واحدة لضاعت غاية مهمة أسعى إليها وهي معرفة الفروق بين صور المعنى الواحد التي تخضع لمقامات سورها .

على أن الصورة البيانية في جزء الذّاريات لم تسبق لها دراسة خاصة وإن كانت سور هذا الجزء قد عرض لها العلماء في إطار التفسير الكلي للقرآن الكريم وقد أفدت من إشاراتهم وتوجيهاتهم البلاغية إلى حد كبير .

وقد اقتضت طبيعة البحث توخي المنهج الاستقرائي عند الدراسة الأوليّة ، وذلك بتتبع كل الشواهد لاستخراج الظواهر المتعددة ، وعند الصياغة النهائية سُجِّلت هذه الظواهر مع الاكتفاء لها ببعض الشواهد ، كما اعتمدت المنهج البلاغي القائم على تحليل الآيات تحليلاً يكشف عن مدى مطابقتها للمقام ، متوقفة عند كل ما يفتح الله به ويهدي إليه ، ولا أنسى الإشارة إلى أن تلك المواطن منه ما استنبطته من كلام المفسرين وعلمائنا الأوائل ، ومنه ما فتح الله به عليّ فاهتديت إليه باجتهاد شخصي أرجو أن يكون صواباً .

وممّا هو جدير بالذكر أنّ الآيات صُنّفت في فصل التشبيه على حسب الأغراض على حين أنها في الاستعارة والكناية صُنفت على حسب الظواهر ، فخضع كل باب لأبرز ما فيه مع الربط بين الأغراض والظواهر في الحالتين .

وحرصت في الغالب على عدم تكرير الآية الواحدة في أكثر من ظاهرة تفادياً للإسهاب والتطويل، كما حرصت على أنّ أكون شديدة الأمانة في النقل ورد الأقوال إلى قائليها ، ووضعت المنقول من كلام العلماء بين شولتين مزدوجتين "   " .

ومن ثمّ اقتضى البحث أن تسير الخطة وفق التقسيم التالي :

ـــ **المقدمة** : وتشتمل على بيان أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة ، ومنهج الدراسة والخطة .

ـــ **التمهيد** : ويتناول الأغراض العامة المشتركة بين سور جزء الذّاريات ، والأغراض التي تختص بها كل سورة .

ـــ **الفصل الأول** : التّشبيه في جُزْء الذّاريات : صياغاته وأغراضه .

فمن التشبيهات ما يقصد بها مجرد المماثلة والقياس والبرهنة ومنها ما يتجاوز ذلك للتصوير وبيان حالة الشئ وهيأته ، فيتحقق من وراء هذا غرض آخر ، إمّا تصوير الهلاك والعذاب في الدنيا أو في الآخرة للتحذير والتخويف ، أو تصوير النعيم للترغيب والتبشير ، أو تصوير هول من أهوال يوم القيامة وحال الناس في ذلك اليوم ، ثمّ التشبيه الذي يهدف للتصوير قد يكون طرفاه محسوسين ، وقد يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوساً .

ـــ **الفصل الثاني** : الاستعارة في جُزء الذّاريات : ظواهرها وأسرارها .

وجاءت دراسة الاستعارة مواطنها وأسرارها وعلاقتها بالمقام الذي وردت فيه من خلال تتبع الظواهر البارزة وهي :

١ ـــ الاستعارات التصريحية الشائعة .

٢ ـــ جواز إرادة المعنى الحقيقي والمجازي بلا تعارض .

٣ ـــ أهم أنواع الصميم الخالص من الاستعارة .

٤ ـــ وقوع الاستعارة في سياق الاستفهام الإنكاري .

٥ ـــ قد تتجاور استعارتان لتقديم الغرض .

٦ ـــ ما يجوز فيه الاستعارة التصريحية والمكنية مع ترجيح الأولى بالسياق .

٧ ـــ وقوع الاستعارة التصريحية في أجزاء الاستعارة التمثيلية لحاجة المعنى والغرض .

٨ ـــ التعبير عن صورة مركبة بلفظة مفردة .

٩ ـــ قمة الإيجاز .

هذا بالنسبة للظواهر أمّا عن أبرز الأغراض والموضوعات فهي :

١ ـــ تصوير النعيم للترغيب فيه .

٢ ـــ تصوير العذاب للتحذير منه .

٣ ـــ اللفت إلى مظاهر قدرة الله في الكون .

ـــ **الفصل الثالث** : الكناية في جزء الذّاريات :ظواهرها وأسرارها .

وقد احتوى هذا الفصل على نوعين وبداخل كل نوع أبرز الظواهر اللافتة فيه :

أولاً : الكناية عن موصوف في جزء الذّاريات : ـــ

١ ـــ الموصوف الذي كُنّي عنه كثيراً ما يكون عنصراً من عناصر الكون .

٢ ـــ اللفظ المكني به قد يكون جُملة وقد يكون مفرداً .

٣ ـــ تعدد اللفظ المكنى به والمكنى عنه واحد .

٤ ـــ اتحاد اللفظ المكني به والمعنى المكنى عنه واختلاف الغرض .

٥ ـــ تآزر الكناية مع صورة أخرى لتقديم الغرض .

٦ ـــ قد يُكنى عن الموصوف لأن الصفة حاضرة مرتبطة بموصوفها في أذهان المخاطبين .

ثانياً : الكناية عن صفة في جزء الذّاريات :

١ ـــ الصفة التي كُنّي عنها قد تكون محبوبة مرغوبة وقد تكون مذمومة .

٢ ـــ اتحاد المعنى المكنى عنه واللفظ المكنى به والغرض مختلف .

٣ ـــ اللفظ المكنى به قد يكون مفرداً وقد يكون جُملة .

٤ ـــ تآزر الكناية مع صورة أخرى لتقديم الغرض.

ـــ **الفصل الرابع** : فروق بين أساليب البيان عن المعنى الواحد في جزء الذّاريات :

وقُسّم هذا الفصل إلى قسمين :

أولاً : ما اتفق معناه وتعدد أسلوبه وطريقة التعبير عنه :

قد يتفق المعنى وتتعدد طريقة التعبير عنه لاختلاف الغرض كما قد يتفق المعنى والغرض وتتعدد طرق التعبير عنهما لاختلاف مقام كل سورة وجوها وسياقها وذلك في المعاني التالية :

١ ـــ قصص هلاك الأقوام المكذبة بأنبيائها بين الذّاريات والقمر .

٢ ـــ وصف عذاب المكذبين في النار للتهديد والتحذير .

٣ ـــ وصف نعيم المتقين في الجنة للترغيب .

٤ ـــ وصف نساء الجنة للترغيب .

٥ ـــ تحقيق وتأكيد وقوع البعث والجزاء .

٦ ـــ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المكذبين رحمة به مع الثبات على تبليغ الرسالة والتذكير .

ثانياً : وقوع المعنى مصوراً تارة وحقيقة تارة أخرى .

ـــ **الخاتمة** : وفيها تلخيص لأهم نتائج البحث التي توصلت إليها ، وألحقت بها الفهارس التالية :

١ ـــ فهرس الآيات القرآنية .

٢ ـــ فهرس المصادر والمراجع .

٣ ـــ فهرس الموضوعات .

هذا وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في إعطاء البحث حقه من التأمل والتدبر ، وأن يجعله عملاً مباركاً خالصاً لوجهه ، هو وليّ ذلك والقادر عليه .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ولا ملجأ من الله إلا إليه .

التمهيد :

أولاً : الأغراض العامة المشتركة بين سور جزء الذّاريات .

ثانياً : الأغراض التي تختص بها كل سورة .

أولاً : الأغراض العامة المشتركة بين سور جزء الذّاريات :

إنّ لتوالي سور جزء الذّاريات في المصحف الشريف حكمة وغاية وذلك لاشتراكها في أغراض عامة تربط فيما بينها وهي :

أ ــ وصف عذاب المكذبين في النار للتهديد والتحذير :

١ ــ قال تعالى في الذّاريات : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[١] .

٢ ــ وقال تعالى في الطور : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٢] .

٣ ــ وقال تعالى في القمر : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٣] .

٤ ــ وقال تعالى في الرحمن : ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ﴾[٤] .

٥ ــ وقال تعالى في الواقعة : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾[٥] .

---

[١] ــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ١٣ ــ ١٤ .

[٢] ــ سورة الطور ، الآيات : ١٣ ــ ١٦ .

[٣] ــ سورة القمر ، آية ٤٨ .

[٤] ــ سورة الرحمن ، الآيات : ٤١ ــ ٤٥ .

[٥] ــ سورة الواقعة ، الآيات : ٥١ ــ ٥٦ .

٦ ــ وكذلك قال تعالى في الواقعة : ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾ [1] .

تكرر الغرض في الواقعة دون غيرها ، وذلك لأنّ تأكيد البعث والجزاء والرد على المكذبين وتحذيرهم هو محورها الأساس ، وجاء هذا الغرض في جميع سور جزء الذّاريات ما عدا سورة النجم التي يغلب عليها بيان صدق الوحي ، وسورة الحديد لأنّها مدنية لا تُعْني بالعقيدة وبعناصرها الأسس : الوحدانية والوحي والآخرة ، وإنّما بتفصيل أحكام الحدود والفرائض والحقوق ، والجهاد ، وبذكر المنافقين ، ومجادلة أهل الكتاب [2] .

ب ــ وصف نعيم المتقين في الجنة للترغيب :ــ

١ ــ قال تعالى في الذّاريات : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3] .

٢ ــ وقال تعالى في الطور : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ...﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [4] .

٣ ــ وقال تعالى في القمر : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [5] .

---

[1] ــ سورة الواقعة ، الآيات : ٩٢ ــ ٩٤ .

[2] ــ انظر : البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، د . ط ، د . ت ، ١ / ١٨٨ ، ومباحث في علوم القرآن ، صبحي الصالح ، دار العلوم ، بيروت ــ لبنان ، ط ١٦ ، ١٩٨٥م ، ص ١٨٣ .

[3] ــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ١٥ ــ ١٦ .

[4] ــ سورة الطور ، الآيات : ١٧ ــ ٢٨ .

[5] ــ سورة القمر ، الآيتان : ٥٤ ــ ٥٥ .

٤ ـــ وقال تعالى في الرحمن : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ... مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [1] .

٥ ـــ وقال تعالى في الواقعة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ .... وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ .... ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [2] .

فجاء الغرض في جميع سور الذّاريات ما عدا النجم التي يغلب عليها بيـــان صـــدق الوحي وتأكيد أنّ القرآن وحي من عند الله وإبطال مزاعم المشركين المكذبين ، والحديـــد لأنّها مدنية .

وفي الرحمن والواقعة وقع الغرض ببسط واتساع لمناسبة المقام ، وهو تعدد نعـــم الله والتقرير بها في الرحمن ، وتوكيد البعث والجزاء والرد على المكذبين وتحذيرهم في الواقعـــة وعلى الرغم من أنّ معظم السور وصف فيها النعيم للترغيب فإنه تعددت أساليبه من سورة لأخرى حسب سياق كل سورة وجوها ومقامها .

جـــ ـــ تحقيق وتأكيد وقوع البعث والجزاء :ـــ

١ ـــ قال تعالى في الذّاريات : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾ [3] .

٢ ـــ وقال تعالى في الطور : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ [4] .

---

[1] ـــ سورة الرحمن ، الآيات : ٤٦ ـــ ٧٦ .

[2] ـــ سورة الواقعة ، الآيات : ١٠ ـــ ٤٠ .

[3] ـــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ٥ ـــ ٦ .

[4] ـــ سورة الطور ، الآيتان : ٧ ـــ ٨ .

٣ ــ و قال تعالى في النجم : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ [1] .

٤ ــ قال تعالى في القمر : ﴿ ..... يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [2] .

٥ ــ قال تعالى في الواقعة : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ ﴾ [3] .

٦ ــ وقال تعالى في الواقعة : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [4] .

ووقع الغرض في معظم سور الذّاريات وفي السور المكية خصوصاً ، لأنّه يعتبر من أهم خصائصها ، وتكرر في الواقعة لأنّه محورها الأساس والغالب على موضوعاتها .

د ــ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المكذبين رحمة به مع الثبات على تبليغ الرسالة والتذكير :

١ ــ قال تعالى في الذّاريات : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [5] .

---

[1] ــ سورة النجم ، الآيات : ٣٩ ــ ٤٧ .

[2] ــ سورة القمر ، الآيات : ٦ ــ ٨ .

[3] ــ سورة الواقعة ، الآيتان : ١ ــ ٢ .

[4] ــ سورة الواقعة ، الآيتان : ٤٩ ــ ٥٠ .

[5] ــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ٥٤ ــ ٥٥ .

٢ ـــ وقال تعالى في الطور : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1] .

٣ـــ وكذلك قال تعالى في الطور: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2] .

٤ ـــ وقال تعالى في النجم : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾[3] .

٥ ـــ وقال تعالى في القمر : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ﴾[4] .

ومع أنّ الغرض العام واحد فإن طريقة التعبير اختلفت لاختلاف السياقات وذهاب كل سياق بخصوصية معينة ، والغرض لبيان مدى ما وصل إليه المشركون من تكذيب وعناد وإصرار ، كما أن فيه دلالة على مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هدايتهم، وتكرر الغرض في سورة الطور لأنّ مقامها هو التهديد بتحقيق وقوع العذاب ، فقد بلغوا درجة كبيرة من الإنكار والتكذيب وأصبحوا أبعد ما يكونون عن التأثر بالآيات .

هـــ ـــ تهديد وإنذار المكذبين بذكر ما وقع للأمم السابقة المكذبة بأنبيائها :

١ ـــ قال تعالى في الذّاريات : ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ... ﴿٣٣﴾ ...وَفِى مُوسَىٰٓ ...

---

[1] ـــ سورة الطور ، الآيات : ٢٩ ـــ ٣١ .

[2] ـــ سورة الطور ، آية ٤٥ .

[3] ـــ سورة النجم ، آية ٢٩ .

[4] ـــ سورة القمر ، آية ٦ .

﴿...وَفِي عَادٍ ﴿٤١﴾ ...وَفِي ثَمُودَ ﴿٤٣﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1] .

٢ ــ وقال تعالى في النجم : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾[2] .

٣ ــ وقال تعالى في القمر : ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾...كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ...كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ...كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾... وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[3] .

وجاءت قصص هلاك الأقوام المكذبة بأنبيائها في السّور المكيّة لأنّها تعتبر من أبـــرز خصائصها التي تميزها عن السّور المدنية ، ووقعت هذه القصص مُفَصّلة في القمر ومجملة في الذّاريات والنجم وذلك لأنّ مقام سورة القمر هو تحذير وتهديد المكذبين بيوم الدين فهـــو الموضوع الأساس ، في حين أُجْملت في الذّاريات للإشارة إلى تصديق وعد الله المقسم عليه في أول السورة والمنذر به في آخرها [4] ، وفي النجم لفتة في سياق ذكر أصول العقيدة .

فالمعنى واحد والغرض واحد ولكن تعددت أساليبه ومعارضه من ســـورة لأخـــرى حسب سياق كل سورة ومقامها وجوها ، وذلك في دراسة مستقلة ستأتي في الفصل الرابع.

---

[1] ــ سورة الذّاريات ، الآيات : ٣١ ــ ٤٦ .

[2] ــ سورة النجم ، الآيات : ٥٠ ــ ٥٤ .

[3] ــ سورة القمر ، الآيات : ٩ ــ ٤٢ .

[4] ــ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، د . ت ، ٢٧ / ٩ .

ثانياً :الأغراض التي تختص بها كل سورة [1] :

.سورة الذّاريات :.

١ ــ إبطال مزاعم المكذبين دون تثبت : ــ

قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ ﴾[2] .

٢ ــ " الاستدلال على وحدانية الله " [3] : ــ

قال تعالى : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣ ﴾[4] .

٣ ــ الاستدلال على قدرة الله على البعث : ــ

قال تعــالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ ... فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [5].

٤ ــ الأدلة على قدرة الله : ــ

---

[1] ــ انظر : نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور ، برهان الدين البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م ، م ١٨ / جـ ٢٦ / ٤٤٤ ــ ٤٨٣ ، م ١٩ / جـ ٢٧ / ١ ــ ٣٣٠ ، وتفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، د . ط ، د . ت ، جـ ٢٦ / ٣٣٥ ــ ٣٦١ ، جـ ٢٧/ ٥ ــ ٤٣٣ ، وفي ظلال القرآن : جـ ٢٧ / ٥ ــ ١٧٨ ، وتفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر ، د . ط ، د . ت ، م ٩ / جـ ٢٧ / ٤ ــ ١٩٠ ، والتفسير الواضح ، محمد محمود حجازي ، دار التفسير ، القاهرة ، ط ١٢ ، ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م ، م ٣ / جـ ٢٧ / ٥٢٩ ــ ٦٢٦ .

[2] ــ الآيات : ٧ ــ ١١ .

[3] ــ التحرير والتنوير : ٢٦ / ٣٣٦ .

[4] ــ الآيات : ٢٠ ــ ٢٣ .

[5] ــ الآيات : ٢٤ ــ ٣٠ .

قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1] .

٥ ـــ الدعوة إلى الفرار إلى الله : ـــ

قال تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[2] .

٦ـــ بيان أنّ مذهب الكفار واحد وأقوالهم وملتهم واحدة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم : ـــ

قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾[3] .

٧ ـــ بيان الغاية من خلق الجن والإنس : ـــ

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[4] .

٨ ـــ تهديد وإنذار المشركين بعذاب مماثل لعذاب الأمم السابقة المكذبة : ـــ

قال تعالى :﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ ﴾[5] .

٩ ـــ تهديد و"وعيد الكافرين بأنّ العذاب سيحل بهم يوم القيامة "[6]: ـــ

قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[7] .

---

[1] ـــ الآيات : ٤٧ ـــ ٤٩ .

[2] ـــ الآية ٥٠ .

[3] ـــ الآية ٥٢ .

[4] ـــ الآية ٥٦ .

[5] ـــ الآية ٥٩ .

[6] ـــ تفسير المراغي : ٢٧ / ١٥ .

[7] ـــ الآية ٦٠ .

وتختص سورة الذّاريات بتلك الأغراض وذلك لأنّ محورها الأساس هو تأكيد البعث وتهديد المكذبين به ، فسائر الأغراض تنجذب لذلك المحور .

ـسورة الطور :

١ ـــ تغير العالم الكوني يوم القيامة للتخويف :

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ ﴾[1] .

٢ ـــ تحدي المشركين وعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن :

قال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۝٣٤ ﴾[2] .

٣ ـــ إبطال أكاذيب لهم كقول الملائكة بنات الله وتعـدد الآلهـة ... الخ ، وفي ذلك إثبات للألوهية بالبراهين القاطعة : ـــ

قال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ ...أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٤٣ ﴾[3].

٤ ـــ " بيان أنّهم بلغوا في عنادهم حداً ينكرون معه المحسوسات الـتي لا شـك فيها" [4] : ـــ

قال تعالى : ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ۝٤٤ ﴾[5].

---

[1] ـــ الآيتان : ٩ ـــ ١٠ .

[2] ـــ الآيتان : ٣٣ ـــ ٣٤ .

[3] ـــ الآيات : ٣٥ ـــ ٤٣ .

[4] ـــ تفسير المراغي : ٢٧ / ٤٠ .

[5] ـــ آية ٤٤ .

٥ ـــ التهديد بوقوع العذاب يوم القيامة : ـــ

قال تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[١] .

٦ ـــ التهديد والوعيد بعذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة : ـــ

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٢] .

٧ ـــ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر والتسبيح فهو في حفظ الله ورعايته :

قال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾[٣] .

وتختص سورة الطور بهذه الأغراض من تهديد ووعيد ... وذلك لأنّ مقامها هو التهديد بتحقيق وقوع العذاب يوم القيامة للمكذبين .

ـسورة النجم :ـ

١ ـــ تأكيد صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله :ـــ

قال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾[٤] .

٢ ـــ " إثبات أنّ القرآن الكريم وحي من عند الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام "[٥] : ـــ

قال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾[٦] .

---

[١] ـــ الآية ٤٥ .

[٢] ـــ الآية ٤٧ .

[٣] ـــ الآيات : ٤٨ ـــ ٤٩ .

[٤] ـــ الآيتان : ٢ ـــ ٣ .

[٥] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٨٨ .

[٦] ـــ الآيات : ٤ ـــ ٦ .

٣ ــ زيادة تقرير أنّ القرآن وحي من عند الله بوصف نــزول جبريــل بــه في حالين : ــ

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ ... لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾[1] .

٤ ــ " إبطال قولهم في اللات والعُزّى ومناة بنات الله وأنّها أوهام لا حقائق لهــا وتنظير قولهم فيها بقولهم في الملائكة إنهم إناث "[2] : ــ

قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ... وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾[3] .

٥ ــ " اتخاذ الوليد بن المغيرة حالة مناسبة لعرض حقائق العقيدة وتوضيحها"[4] ، فــ " لما بيّن جهل المشركين في عقائدهم الباطلة ، وأنه لا وجه لهم في شئ ذكر واحــداً منهم بسوء فعله وكبير جرمه ،وإن قصته لتثبت أن كفر هؤلاء لم يكن عن عقيدة ، وإنما هو عناد وعصبية جاهلية "[5]: ــ

قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ...وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾[6] .

وسائر هذه الأغراض الجزئية تدخل في إطار الغرض الكلي للسورة وهو بيان صدق الوحي .

---

[1] ــ الآيات : ٧ ــ ١٨ .

[2] ــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٨٨ .

[3] ــ الآيات : ١٩ ــ ٢٨ .

[4] ــ في ظلال القرآن : ٢٧ /٦٥ .

[5] ــ التفسير الواضح : ٣ / ٥٦٣ .

[6] ــ الآيات : ٣٣ ــ ٤٩ .

ـسورة القمر :

١ ـــ " توبيخ المشركين على غفلتهم وعدم اعتبارهم بالنذر" [1] :

قال تعالى : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾[2] .

٢ ـــ " إنذار المشركين بقتال يهزمون فيه ثم لهم في الآخرة عذاب أشد " [3] : ـــ

قال تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[4] .

٣ ـــ " بيان أنّ كل ما في الوجود بقضاء الله وقدره " [5] :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[6] .

٤ ـــ بيان سرعة تحقق ما يأمر الله به في الكون : ـــ

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾[7] .

٥ ـــ الإعلام بإحاطة الله :

قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [8] .

والأغراض لا تخرج عن التهديد والتحذير والإنذار بما يتلاءم مع مقام السورة وهـــو تهديد وتحذير المكذبين بيوم الدين .

---

[1] ـــ تفسير المراغي : ٢٧ / ١٠٣ .
[2] ـــ آية ٤٣ .
[3] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ١٦٦ .
[4] ـــ الآيتان : ٤٥ ـــ ٤٦ .
[5] ـــ تفسير المراغي : ٢٧ / ١٠٣ .
[6] ـــ آية ٤٩ .
[7] ـــ آية ٥٠ .
[8] ـــ الآيتان : ٥٢ ـــ ٥٣ .

.سورة الرحمن :.

١ ــ التذكير بنعمة القرآن وتعتبر أكبر نعمة على الإنسان ، وبنعمة خلقه وتعليمه : ــ

قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾[1] .

٢ ــ التذكير بنعم الله في الكون : ــ

قال تعالى : ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ ...وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ ﴾[2] .

٣ ــ التذكير بنعمة خلق الإنسان والجان : ــ

قال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦ ﴾[3] .

٤ ــ الموعظة بفناء كل شئ إلا الله : ــ

قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾[4] .

٥ ــ هديد وتحدي الجن والإنس : ــ

قال تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟

---

[1] ــ الآيات : ١ ــ ٤ .

[2] ــ الآيات : ٥ ــ ١٣ .

[3] ــ الآيات : ١٤ ــ ١٦ .

[4] ــ الآيتان : ٢٦ ــ ٢٧ .

لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] .

٦ــ ذكر صفة يوم القيامة لبيان نعمة الله في التحذير منها : ــ

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ ﴾[2] .

وتختص سورة الرحمن بتلك الأغراض التي يغلب عليها بيان نعمة الله لأنّ مقام السورة هو تعدد تلك النعم والتذكير بها .

.سورة الواقعة :.

١ ــ وصف ما يحدث للعالم الأرضي يوم القيامة لتأكيد وقوعه :ــ

قال تعالى : ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾[3] .

٢ ــ تقسيم النّاس عند الحساب إلى ثلاثة أزواج وبيان مصير كل زوج لتوكيد البعث ، فالتقسيم والتفصيل " يوقع في الحس أنّ هذا أمر كائن واقع، لا مجال للشك فيه، وهذه أدق تفصيلاته معروضة للعيان "[4]

قال تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ... وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ

---

[1] ــ الآيات : ٣١ ــ ٣٣ .

[2] ــ الآيات : ٣٧ ــ ٤٠ .

[3] ــ الآيات : ٤ ــ ٦ .

[4] ــ في ظلال القرآن : ٢٧ / ١٣٠ .

﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ... وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [١] .

٣ ـــ الاستدلال على قدرة الله على البعث : ـــ

قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ... أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [٢] .

٤ ـــ تأكيد أنّ القرآن الذي احتوى الحديث عن البعث منـــزل مـــن عنـــد الله تعالى فيجب الإيمان به وبما فيه :

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٣].

٥ ـــ " الاستدلال بنـــزع الله الأرواح من الأجساد والناس كارهون لا يستطيع أحد منعها من الخروج ، على أن الذي قدر على نزعها بدون مدافع قادر على إرجاعها متى أراد " [٤] .

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [٥] .

---

[١] ـــ الآيات : ٧ ـــ ٤٤ .

[٢] ـــ الآيات : ٥٨ ـــ ٧٣ .

[٣] ـــ الآيات : ٧٧ ـــ ٨٢ .

[٤] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٨٠ .

[٥] ـــ الآيات : ٨٣ ـــ ٨٧ .

فالأغراض لا تخرج عن المحور الأساس للسورة وهو تأكيد البعث والجزاء والرد على المكذبين وتحذيرهم .

سورة الحديد :

١ ـ الحث على تسبيح الله والاستدلال على قدرته :

قال تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ... يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۚ ... ﴿٦﴾ ﴾[1] .

٢ ـ الحث على الإيمان والإنفاق وذكر جزاء ذلك يوم القيامة :

قال تعالى : ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ ...﴿٧﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾[2] .

٣ ـ ذكر جزاء المنافقين والمنافقات للتنفير من هذه الصفة :

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ ...﴿١٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾[3] .

٤ ـ " تحذير المسلمين من الوقوع في مهواة قساوة القلوب التي وقع فيها أهل الكتاب من قبلهم " [4] : قال تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ

---

[1] ـ الآيات : ١ ـ ٦ .

[2] ـ الآيات : ٧ ـ ١٢ .

[3] ـ الآيات : ١٣ ـ ١٥ .

[4] ـ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٦٥ .

ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1] .

٥ ــ " الدعوة إلى قلة الاكتراث بالحياة الفانية " [2]:

قال تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[3] .

٦ ــ الترغيب في الجنة والحث على العمل والاستعداد للفوز بها :ــ

قال تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[4] .

٧ ــ " التسلية على المصائب " [5]:ــ

قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[6] .

٨ ــ الحث على إقامة العدل ، وأنّه يعتبر الحكمة من إرسال الرسل والكتب :

---

[1] ــ آية ١٦ .

[2] ــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٥٦ .

[3] ــ آية ٢٠ .

[4] ــ آية ٢١ .

[5] ــ تفسير المراغي : ٢٧ / ١٨٩ .

[6] ــ الآيتان : ٢٢ ــ ٢٣ .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ... ﴿٢٥﴾ ﴾[1] .

٩ ــ " تنظير رسالة محمد صلى الله عليه وسلم برسالة نوح وإبراهيم عليهما السلام على أنّ في ذريتهما الفاسق والمهتدي "[2] : ــ

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾...فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[3] .

وهذه السورة تختلف في أغراضها عمّا قبلها من السور وذلك لأنّها مدنية ، ومقامها هو " تحقيق حقيقة الإيمان في القلب ، وما ينبثق عن هذه الحقيقة من خشوع وتقوى ، ومن خلوص وتجرد ، ومن بذل وتضحية "[4] .

ونخرج من هذا إلى أن أغراض السورة مهما تعددت فإنها تتناسق في وحدة سورتها ، ثم تدور في إطار محور أو غرض كلي للسورة ، وأن السور المكية كثيراً ما تلتقي أغراضها مع ذهاب كل سورة بمقام خاص وطريقة خاصة في التعبير عن أغراضها ، وأن السورة المدنية الوحيدة في هذا الجزء (الحديد) قد تميزت بأغراض خاصة مختلفة عن أغراض السور المكية، وبهذا تتضح معالم سور جزء الذّاريات حتى يتيسر متابعة الصورة ودورها في سياقها ومقام سورتها .

---

[1] ــ آية ٢٥ .

[2] ــ التحرير والتنوير: ٢٧ / ٣٦٥ .

[3] ــ الآيتان : ٢٦ ــ ٢٧ .

[4] ــ في ظلال القرآن : ٢٧ / ١٥١ .

الفصل الأول :

التَّشْبيه في جُزْء الذّاريات :

صياغاته وأغراضه.

التشبيه طريق من طرق التصوير البياني ، وفنٌّ تعبيريٌّ جميل ، يُظهر المعنى ، ويُبيّن المراد ، ويُؤثر في النفوس . وله دور مهم بين علوم البلاغة ، " إنّه من بَيْنِ أنواع علم البيان مُسْتوْعَرُ المذْهَب ، وهو مَقتلٌ من مَقاتِلِ البلاغة " [1] ، وعند الخطيب هو " الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى " [2] .

ويعتبر من أول الطرق التي أشار إليها الأقدمون كسيبويه والفراء والجاحظ [3] ، إلا أنّ المبرد قد توسع فيه وقسّمه ومثّل له ، وقد كثر في أشعار العرب كثرة تلفت النظر ، " حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد " [4] .

والتشبيه علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لا تحادهما في صفة أو أكثر ، وتنشأ هذه العلاقة من "تشبيه شئ بشئ ، ليدل على حصول صفة المشبه به في المشبه ، ويشترط أن تكون من أظهر صفاته وأخصها به ، وإلا لم يُعلم حصولها في المشبه ، كما إذا شبه زيد بالأسد في بخره ، وأن يكون وجودها في المشبه به أظهر من المشبه " [5] ، ويشترك الطرفان في صفة واحدة أو أكثر لا في جميع الصفات لأنّه لو أشبه المشبه به المشبه في جميع الصفات لكان هُوَ هُوَ ، وقد نبه لذلك العلماء منذ القدم أمثال قدامة بن جعفر ، حيث قال : " إنّه من الأمور المعلومة أنّ الشئَ لا يُشَبّه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات ، إذ كان الشّيئان إذا

---

[1] ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، قدّمه وعلق عليه : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، ط ٢ ، د . ت ، ١٢٢/٢ .

[2] ــ الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٦ ، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م ، ٢ / ٣٢٨ ، وشروح التلخيص ، دار السرور ، بيروت ــ لبنان ، ٣ / ٢٩٢ .

[3] ــ البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان ــ الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧ م ، ص ١٨ .

[4] ــ الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م ، ٣ / ٦٨ .

[5] ــ الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، محمد بن علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م ، ص ١٥٢ .

تشابها من جميع الوجوه و لم يقع بينهما تغاير البتّة اتّحدا ، فصار الاثنان واحداً ، " [1] وأبو هلال العسكري يقول : " يصح تشبيه الشئ بالشئ جُملة ... ولو أشبه الشئُ الشئَ من جميع جهاته لكان هو هو " [2] وغيرهما .

والتشبيه يُؤَلِّف بين المتنافرات والمختلفات ويعمل عمل السحر كما يقول عبد القاهر الجرجاني : " وهل تشكُّ في أنّه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعْدَ ما بين المَشْرق والمَغْرب ، ويجمع ما بين المُشْئِم والمُعْرِق . وهو يُريك للمعاني الممثّلة بالأوهامِ شبهاً في الأشخاص الماثلة ، والأشباح القائمة ، ويُنطق لك الأخرس ، ويُعطيك البيان من الأعجم ، ويُريك الحياةَ في الجماد ، ويُريك التئامَ عين الأضداد ، فيأتيك بالحياةِ والموت مجموعين ، والماءِ والنار مجتمعين ، كما يُقال في الممدوح : هو حياة لأوليائه ، موت لأعدائه ... " [3] .

وللتأليف بين المتنافرات والمختلفات شرط وقيد وهو " أن تصيبَ بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الأمر شبهاً صحيحاً معقولاً ، وتجد للمُلاءمة والتأليف السويّ بينهما مذهباً وإليهما سبيلاً ، وحتى يكون ائتلافهما الذي يوجب تشبيهك ، من حيث العقل والحَدْس ، في وضوح اختلافهما من حيث العَين والحِس " [4] لذا يحتاج التشبيه إلى أكبر قدر من الاشتراك في الصفة .

والتشبيه يخرج المعنى من الخفاء للجلاء والوضوح ، فـ " أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ ، وتأتيها بصريح بعد مكنيٍّ ، وأن تردَّها في الشئ

---

[1] ـــ نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ص ١٠٩ .

[2] ـــ الصناعتين : ٢٤٥ .

[3] ـــ أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ط ١ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، ص ١٣٢ .

[4] ـــ المصدر نفسه : ١٥١ .

تُعلّمها إياه إلى شئ آخر هي بشأنه أعلم ، وثقتُها به في المعرفة أحكم ، نحو أن تنقُلها عن العقل إلى الإحساس ، وعما يُعلَم بالفكر إلى ما يُعلَم بالاضطرار والطبع "[1] ، وكذلك يؤدي التشبيه للإيجاز ، يقول العلوي : " فإنّك إذا قلتَ : زيد كالأسد ، فإنّ الغرض تشبيههُ بالأسد في شهامة النفس ، وقوة البطش ، وجراءةِ الإقدام ،وغير ذلك من الصفات الفاخرة ، فقد استغْنَيت بذكر لفظ الأسد عن أن تقول : زيد شَهْمٌ شجاعٌ ، قويُّ البطشِ جريءُ الجنان ، قادر على الاعتداءِ ، فهذا هو الذي نُريدهُ بالإيجاز "[2] .

كما يأتي التشبيه لتأكيد المعنى وتقريره ، ويزداد التأكيد إذا كان المشبه به حسّياً ، فإنّ النفس إلى المحسوس أميل منها إلى المعقول ، وتجدد الصّورة ألذ على النفس من المعاد المكرر[3] .

ونحن في دراستنا للصورة التشبيهية في جزء الذّاريات سنقف عند ذلك كله لنبرز قيمة هذا الفن في أداء الغرض .

فموضوع دراستنا في هذا الفصل هو : التشّبيه في جزء الذّاريات صياغاته وأغراضه .

---

[1] ـــ أسرار البلاغة : ١٢١ .

[2] ـــ الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحي بن حمزة العلوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ١٤٠٢هـــ ـــ ١٩٨٢م ، ٢٧٦/١ .

[3] ـــ مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زَرزُور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣هـــ ـــ ١٩٨٣م ، ص ٣٥٠ .

صياغات التشبيه وأغراضه :

عندما نتتبع التشبيهات في سور هذا الجزء نجدها متعددة الأغراض ، فكل تشبيه له غرض جزئي يدور في إطار الغرض الكلي للسورة التي ورد فيها كما سيتبيّن من عرض الشواهد .

ثم إنّ الغرض الجزئي المفهوم للتشبيه في آيته يتنوع بحسب صياغة التشبيه وبحسب نوع الأداة ، فقد نجد ذلك الغرض الجزئي ذا صلة وثيقة بأهم أغراض السورة ولا يهدف للتصوير وإنّما يسعى إلى البرهنة والتأكيد على معنى يقع الشك فيه كثيراً كالبعث ، كقوله تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] . فقد أقسم الله عزّ وجل بذاته وربوبيته وملكه السماء والأرض، وفي ذلك لفت على أنّه يقسم على عظيم بأنّ ما وعدهم به من البعث لحق ، وهذا هو المشبه الذي يعود الضمير عليه .

فأقسم الله على أنّه حق مثل نطقهم ، فكما أنّهم لا يشكون في نطقهم كذلك ينبغي أن لا يشكوا في أنّ الله قادر على كل أمر ، فالله الذي جعلهم ينطقون من بين سائر المخلوقات قادر على أن يبعثهم ، والقادر على خلق جهاز النطق قادر على كل شئ ، وفيه إشارة وتلويح بالتهديد وذلك بأن يفقد الذين كذبوا بألسنتهم قدرتهم على النطق ، فالبعث قريب كقرب كلامنا منا ، والبعث أمر يسير على الله كالنطق الذي هو أيسر ما يفعله الإنسان ، فالغرض البارز من هذا التشبيه هو البرهنة والاستدلال العقلي بقياس ما يشكون فيه على ما لا يشكون فيه فضلاً عن الإشارات الأخرى المفهومة من التشبيه كما تبيّن .

---

[1] ـــ سورة الذاريات ، الآيتان : ٢٢ ـــ ٢٣ .

ثم ألا ترى كيف تآزر النظم لتأكيد البعث ، بالقسم أولا(فورب) ثم بـــ (إنّ) والفعل المضارع الدال على التجدد (تنطقون) وكأنّ كل مرة ينطقون فيها ويتحرك لسانهم يؤكد على قدرة الخالق سبحانه على ما يقسم عليه .

فالمزية تعرض إذن " بسبب المعاني والأغراض التي يُوضَع لها الكلام ، ثم بحَسَب موقع بعضها مع بعض ، واستعمال بعضها مع بعض "[1] .

وهو تشبيه مُرسل لذكر الأداة (مثل) الدالة على المماثلة بين المختلفين ، وذكرهـــا ضروري ليساعد على الإقناع بالمقصود ، وكذلك مجمل لحذف وجه الشبه وهـــو التـــيقن والقرب ، واليسر ، وحذفه للإيجاز وعموم الاشتراك لأنّه لو نُصّ عليه لما عَـــمّ ، وتنـــاول صفات كثيرة .

والمشبه به صورة محسوسة يقينية قريبة لنا ، مما يُساعد على تحقيق الغاية المقصودة من التشبيه .

والتشبيه مرتبط بمقام السورة وهو تأكيد البعث وتهديد المكذبين به.

ومن التشبيهات التي لا تهدف للتصوير ولكن يُقصد بها مجرد المماثلة والقياس ، قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾[2]، أي أنّ حال هؤلاء في التكذيب كحال السابقين، ويُقاس على هذا أنّ عقاباً سيقع بهم، أو يمكن أن يقع بهم، كالعقاب الذي وقع بالسابقين على سبيل التهديد .

---

[1] ـــ دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٠هـــ ـــ ١٩٨٩م ، ص ٨٧ .

[2] ـــ سورة الذاريات ، آية ٥٢ .

فقد شبه موقف كفّار قريش في تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم ووصفه بالساحر أو المجنون بموقف الأمم السابقة المُكذبة بأنبيائها والتي وصفتهم كذلك بالسحر أو الجنون .

وجاء التشبيه بأسلوب القصر من طريق النفي والاستثناء ، وذلك لقصر ما قاله الأقوام على هذا القول (السحر أو الجنون) وكأنه ليس لهم قول إلا هو للمبالغة وكثرة ترديده والإصرار عليه .

واللافت أنّ المشبه الذي يعود إليه اسم الإشارة البعيد (كذلك) في صدر السورة ، وهو قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ كما يذهب ابن عاشور [1] أي ما يقوله المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم من أنّه ساحر أو مجنون ، والمشبه به ﴿ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ حالة معينة كاملة وهي قول الذين من قبلهم لرسولهم ساحر أو مجنون ، وبين المشبه والمشبه به مسافة كبيرة دون قصور في فهم التشبيه أو إخلال بالمفهوم من الصّورة ، وقد جمعت الكاف واسم الإشارة بين الطرفين في إيجاز معجز .

والغرض من التشبيه هو التسرية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان أنّ الكفر ملة واحدة وأقوالهم واحدة ، فالتهديد للجميع وليس خاصاً بقوم دون قوم .

ومن التشبيهات التي يُقصد بها القياس والمماثلة قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾[2] فالذنوب هو " الدّلْوُ التي لَهَا ذَنَبٌ ، واستُعِيرَ للنّصيبِ ، كما استُعير لَهُ السّجْلُ . قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ

---

[1] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢١ .

[2] ـــ سورة الذاريات ، آية ٥٩ .

ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ ... ﴾ " [1] والمعنى :" فإن الذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون " [2] .

ويبدو أنّ الاستعارة التي نص عليها الراغب من المجازات الشائعة التي صارت من الحقائق ، والمهم أنّ الغرض من التشبيه هنا مقصور على بيان المماثلة سوى أنّ النظم القرآني وتصويره يسير بترتيب دقيق فلمّا ذكر سبحانه من قبل أنّ موقف هؤلاء كموقف السابقين في الاتهام والتكذيب ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ رُتِّب على هذا أنّ لهؤلاء نصيباً من العذاب كنصيب السابقين ليتساووا في الاتهام وفي العقاب عليه .

والأداة (مثل) تَدل على " كون المحكوم عليه بالمماثلة متفقاً مع ما يُماثله في جميع الجهات التي يصير بالاتفاق معه فيها على مثاله ، فيكونان جنساً واحداً يسد أحدهما مسد الآخر " [3] فدلالة الأداة تنسجم مع المدلول من التشبيه وهو الاتفاق الكامل في العقاب كالاتفاق في الذنب ، وهذا يدور في إطار التهديد والإنذار ، فـ " المثلية للمساواة في الجزاء لدفع توهم النقص فيه ، والتساهل مع الذين يظلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب ، فهم يساوون من سبقوهم بتكذيب الأنبياء فيما يُصيبهم من العذاب " [4] .

---

[1] ـــ مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، الدار الشّاميّة ، بيروت ، ودار القلم ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٢م ، ص ٣٣١ .

[2] ـــ الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله الزمخشري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٩٢هـ ـــ ١٩٧٢م ، ٢٢/٤ .

[3] ـــ أدوات التشبيه ـــ دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم ، محمود موسى حمدان ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط ١ ، ١٤١٣هـ ـــ ١٩٩٢م ، ص ٢١ .

[4] ـــ المرجع السابق : ٣٢ .

وكذلك في دلالة التشبيه على مجرد المماثلة ، قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [1] .

فالغرض من التشبيه هو نهي الذين آمنوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن مماثلة الذين أُوتوا الكتاب في قسوة قلوبهم ، يقول الزمخشري : " ...نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وُبِّخوا وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم ، فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره " [2] .

ومن الملاحظ في هذا التشبيه أنّ الأداة ليست (مثل) وإنما (الكاف) ، مما يدل على أنّه قد تأتي الكاف للماثلة ـــ كما سبق في قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ ـــ وهي لا تخرج عن المماثلة للتحذير .

والتشبيه ينسجم مع موضوع السورة وهو " تحقيق حقيقة الإيمان في القلب ، وما ينبثق عن هذه الحقيقة من خشوع وتقوى ، ومن خلوص وتجرد ، ومن بذل وتضحية " [3] .

ومن التشبيهات التي يُقصد بها المماثلة ـــ والأداة محذوفة ـــ قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾ [4] .

فالتشبيه ليس للتصوير وإنما للمماثلة ، يقول الألوسي : " المراد أولئك في حكم الله تعالى بمنـــزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل ...وأولئك لهم مثل أجر

---

[1] ـــ سورة الحديد، آية ١٦ .

[2] ـــ الكشاف : ٦٤/٤ .

[3] ـــ في ظلال القرآن : ٢٧ / ١٥١.

[4] ـــ سورة الحديد ، آية ١٩.

الصديقين والشهداء ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه تنبيهاً على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد "[1] فحذف أداة التشبيه في هذا الغرض بليغ ، لأنّها تدل على قوة المماثلة لدرجة الاتحاد ، فلهم منـــزلة كأنّها نفس منـــزلة الصديقين والشهداء، ولهم أجر ونور كأنه نفس أجر الصديقين ونورهم ، وذلك يُرغّب ويحث على تحقيق الإيمان الذي يتحقق به تلك الدرجات .

ثم إنّ في الآية تشبيهين بليغيين ، يتساندان لتقديم الغرض ، وتآزرهما يؤدي لمزيد من الترغيب والحث في تحقيق الإيمان بالله ورسله .

ودلالة التشبيه على مجرد المماثلة لا يقلل من قيمته وأهميته لأنّه في ذلك يضم حالة إلى حالة ويقيس أمراً على أمر بما يعني التطابق والتساوي في غرض التهديد والإنذار كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾، أو في غرض التحذير و التوجيه والتذكير كما في قوله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ أو في غرض التبشير والترغيب كما في المثال الأخير ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ...﴾ .

وقد يتجاوز التشبيه مجرد المماثلة والبرهنة إلى التصوير وبيان حالة الشئ وهيأته ، لترتسم تلك الصورة في الخيال والفكر ، وليتحقق من وراء هذا غرض آخر يدور في إطار السورة كالتخويف والتهديد في قوله تعالى : ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾[2] .

---

[1] ـــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمد الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١، ١٤٢١هـــ ـــ ٢٠٠٠م ، ٢٧ / ٢٥٨ .

[2] ـــ سورة الذاريات ، الآيتان : ٤١ ـــ ٤٢ .

فقد أهلك الله عزّ وجل قوم عاد بالريح العقيم التي لا خير فيها ، والتي لا تأتي على شئ من شجر وناس إلا جعلته كالشئ البالي المتفتت ، ومع أنّه تشبيه محسوس بمحسوس إلا أنّ المشبه مجهول الكيفية والهيأة ، ولذلك شُبّه بماله هيأة ظاهرة ، يقول ابن ناقيا : " (الرّميم) الورقُ الجافّ المُتَحَطِّم وهو الهَشِيم ... ومعنى التّشبيه في الآية : أنّ الريح التي جعلت ما أتت عليه ، في الخِفّة والذّهاب كالرّميم لشِدّة عَصْفِها وسُرعة مَرِّها " [1] ، فالمقصود إذن تصوير ما آلت إليه حالهم بفعل تلك الرّيح من تقطيع وتفتيت وتحطيم كما تفعل في الهشيم .

وقد جاء التشبيه بأسلوب القصر من طريق النفي والاستثناء ، لتأكيد تفتت وتحلل كل ما أتت عليه الرّيح ، ممّا يدل على قوتها وسرعتها ، وممّا يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ الدال على العموم أي كل شئ .

وقد جاور هذا التشبيه الاستعارة في " الرّيح العقيم " ولكل منهما إفادة خاصة ولا يكرر أحدهما الآخر ، بل إنّ التشبيه مكمل للمراد من الصُّورة ، فالاستعارة تعني أنّ الريح لا خير فيها فلا تُلقح سحاباً ولا شجراً ، والتشبيه يعني أنها مضرة ضرراً عظيماً لأنّها تذيب الأشياء ذوباناً وتقضي عليها قضاءً مبرماً ، فالتشبيه ليس تكراراً للمعني وإنّما هو " ارتقاء في مضرة هذا الريح فإنّه لا ينفع وأنّه يضر أضراراً عظيمة " [2] .

واختيار عنصر (الرميم) دون غيره لتحقيق غرضين : الأول : غرض معنوي وهو الإشارة للضرر والتمزيق والتفتت بصورة منفرة ، تنفر منها النفوس وتفزع .

---

[1] ـــ الجمان في تشبيهات القرآن ، عبد الله بن ناقيا البغدادي ، حقّقه وشرحه : محمد رضوان الدّاية ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ ـــ ٢٠٠٢م ، ص ٣٣٩ .

[2] ـــ التحرير والتنوير : ١١/٢٧.

والثاني : غرض إيقاعي وهو الناشئ من توافق الفواصل ، لأنّ أي كلمة أخرى غير رميم لا تتوافق في حروفها مع نهايات الآيات السابقة .

ثم ألا ترى أنّ التشبيه قد أبان عن المعنى وزاده وضوحاً ؟ ، يقول أبو هلال العسكري : " التّشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويُكسبه تأكيداً ، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، و لم يستغنِ أحد منهم عنه ، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ، ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان " [١] .

والتشبيه يدور في إطار ما يغلب على السورة من تهديد المكذبين بعقاب مماثل لعقاب الأمم المكذبة السابقة .

ومن التشبيهات التي تُصوّر الهلاك والعذاب في الدنيا على سبيل التخويف والتحذير ، قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [٢] .

" أعجاز" في قوله : ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ جمع عَجُز، و"عَجُزُ الإنْسانِ : مُؤخَّرُهُ ، وبهِ شُبِّهَ مؤَخَّرُ غيرهِ قال تعالى : ﴿ ... كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ " [٣] ، ومنقعر : " أي ذاهبٌ في قَعْرِ الأرض . وقال بعضهُم : انْقَعَرَتِ الشّجَرَةُ : انْقَلَعتْ من قَعْرِهَا ، وقيل : مَعْنى انْقَعَرَتْ ذهَبَتْ في قَعْرِ الأرض ، وإنّما أراد تعالى أنّ هؤلاءِ اجْتُثُّوا كما اجْتُثَّ النّخْلُ الذاهبُ في قَعْرِ الأرضِ ، فلمْ يَبْقَ لَهُمْ رَسْمٌ ولا أَثَرٌ " [٤] .

فالتشبيه يصور فعل الريح الصرصر بهم وهي تقتلعهم من أماكن كانوا يتشبثون بها كاقتلاع جذوع النخل المنقعر ، فهو اقتلاع ونزع عنيف يدل على قوة تلك الريح وعنفها ،

---

[١] ـــ الصناعتين : ٢٤٩ .
[٢] ـــ سورة القمر ، الآيات : ١٨ ـــ ٢٠ .
[٣] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٥٤٧ .
[٤] ـــ المصدر نفسه : ٦٧٩ .

لأنّ الله سبحانه سلطها عليهم لتفعل بهم هذا النزع العنيف الذي يكون فيه شدة عذاب يعقبه هلاك .

وفي سورة الحاقة قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ ﴾[1] ، وفي القمر ﴿ ... أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ فلماذا اختلف الوصف ؟

اختلف الوصف مرة (منقعر) ومرة (خاوية) وذلك لأنّه باعتبار حالين متتابعين ، الأول (منقعر) يدل على أنّهم يستحكمون في بيوتهم حتى لا تقلعهم الريح ثم لمّا انتزعوا واقتلعوا فاضت أرواحهم وهو ما عبّر عنه بـــ (خاوية) كما يُفسره الرماني ، حيث يقول : " قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ ﴾ وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به ، وقد اجتمعا في قلع الريح لهما ، وإهلاكها إياهما وفي ذلك الآية الدالة على عظيم القدرة والتخويف من تعجيل العقوبة "[2] ويقول في قوله تعالى : ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ " وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم ، وقد اجتمعا في خلو الأجساد من الأرواح وفي ذلك الاحتقارُ لكل شئ يؤول به الأمر إلى ذلك المآل "[3] ، وقد تراعى الفاصلة[4] بعد الجهة المعنوية واختلاف الأحوال .

---

[1] ـــ سورة الحاقة ، الآيتان : ٦ ـــ ٧ .

[2] ـــ النكت في إعجاز القرآن للرماني ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ ، ص ٨٣ .

[3] ـــ المصدر نفسه ، ص ٨٤ .

[4] ـــ انظر على سبيل المثال : تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي ، دراسة وتحقيق عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض ، شارك في تحقيقه : زكريا النوتي وأحمد الجمل ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣هـــ ـــ ١٩٩٣م ، ١٧٨/٨ ، وروح المعاني :١٢٣/٢٧ .

فالتشبيه ـــ (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ) ـــ يصوّر كيفية انتزاعهم وأنّه كان نزعــاً عنيفاً يتناسب مع تشبثهم ، وهذا مرتبط بمقام السورة وهو تحذير وتهديد المكــذبين يــوم الدين.

والتشبيه الذي يؤلف بين المتنافرات يحتاج إلى إعمال الفكر ولطف النظر ، يقــول عبد القاهر الجرجاني : " وإنما الصَّنْعة والحِذْقُ ، والنظرُ الذي يَلْطُف ويَدِقّ ، في أن تُجمــع أعناقُ المتنافرات والمتباينات في رِبْقة ، وتُعْقَد بين الأجنبيّات معاقدُ نسَب وشُــبْكة . ومــا شرُفت صنعةٌ ، ولا ذُكر بالفضيلة عملٌ ، إلا لأنهما يحتاجان من دِقة الفكر ولُطْف النظــر ونفَاذ الخاطر ، إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما ، ويحتكمان على مَن زَاوَلَهما والطالبِ لهما مــن هذا المعنى ، ما لا يحتكم ما عداهما،ولا يقتضيان ذلك إلاّ من جهــة إيجــاد الائــتلاف في المختلفات" [1] " وأنّ " الشئ إذا ظهر من مكان لم يُعهَد ظهوره منه ، وخرج مــن موضــعٍ ليس بمعدنٍ له ، كانت صَبَابَةُ النفوسِ به أكثر، وكان بالشّغَف منها أجدر " [2]. وهذا الكلام له أهمية بالغة لأنه يلقي الضوء على ملمح من ملامح الحُسن في التشبيه القــرآني الــسابق ، ذلك لأنه جمع بين عنصرين بينهما غاية الاختلاف " الهالكين من قوم عاد وأعجاز النخــل المنقعر أو أعجاز النخل الخاوية " ، لكن بالتشبيه أُلف بينهما على أحسن ما يكون لوجــود وجوه شبه بين الأمرين ، كما أوضحنا .

كذلك من التشبيهات التي تصور الهلاك والعذاب في الدنيا على سبيل التحذير والتخويف والتنفير ، قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ... إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [3] .

---

[1] ـــ أسرار البلاغة : ١٤٨ .

[2] ـــ المصدر نفسه : ١٣١.

[3] ـــ سورة القمر ، الآيات : ٢٣ ـــ ٣١ .

يقول الزمخشري : "الهشيم : الشجر اليابس المتهشم المتكسر . و(المحتظر) الذي يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم . وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار : أي الحظيرة " [1] ، شبه قوم صالح ـــ عندما أرسل الله عليهم الصيحة فبادوا وهلكوا ـــ بأوراق الشجر المتحطم في الحظيرة الذي يجمعه صاحبها لِيُنظف حظيرته منه لأن المواشي عادة تدوس هذا الهشيم وتروث عليه [2] .

فهذا التشبيه يُصور ما صار إليه هؤلاء المكذبون بعد أن أهلكتهم الصيحة ، فيشير إلى أن الصيحة كانت من العنف الشديد بحيث لم تزهق أرواحهم فحسب ولكن مزقت أجسادهم وتركتهم في صورة تدعو للاشمئزاز والنفور .

وقد جاء التشبيه في صياغة موجزة لأنّه طوى حال المشبه واكتفى بضميره في الفعل (كانوا) ولم يقل صاروا كذا وكذا مكتفياً بالمشبه به الذي يلقي بظلاله وأضوائه على المشبه .

والغرض من التشبيه هو التنفير من صورهم بعد الهلاك ، فهم أصبحوا كهشيم متكسر تدوسه الدواب في الحظيرة ثم تروث عليه فيكون له منظر قبيح ، وفيه إشارة إلى أنهم تغيّرت خِلَقُهم وصاروا مِسْخاً مشوهاً كالأشياء التي تُداس .

وهذه التشبيهات في تصوير الهلاك والعذاب في الدنيا أمّا عن (الآخرة) ، فيقول تعالى :﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝ ﴾[3].

---

[1] ـــ الكشاف : ٤/٤٠ .

[2] ـــ خصائص النظم في سورة القمر ، عوض بن معيوض الجميعي ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٩هـ ـــ ١٩٩٨م ، ص ٦٦ .

[3] ـــ سورة الواقعة ، الآيات : ٥١ ـــ ٥٥ .

التشبيه يُصوّر شدة عطش الكفار مما يؤدي لاندفاعهم اندفاعاً طائشاً فلا يُميزون ماذا يشربون ، ولا يروون كما يدل قوله ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ وهي الإبل التي يُصيبها داء فلا تروى من الماء [1] ، فالمشبه مُقدّر والمشَبه به وقع مصدرا مبيناً للنوع أي : شاربون شرباً كشرب الهيم .

وفي التشبيه مبالغة في اتحاد الطرفين للترهيب والتنفير ، وقد جاءت هذه المبالغة من حذف الأداة الدالة على اتحاد الاندفاع وشدة المطابقة بين شرب الكفار وشرب الهيم مما يؤدي لمزيد الترهيب و التنفير ، كما جاءت من حذف المشبه وهو مقدر ملحوظ كالمذكور لكن حذفه يؤدي لقوة المشابهة .

ومما يلفت النظر العطف في قوله تعالى : ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾ ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ فهل هو من عطف الشئ على نفسه أو من عطف صفتين مختلفتين ؟

يُجيب الزمخشري عن ذلك ، فيقول : " ليسا بمتفقين من حيث إن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة ، وقطع الأمعاء أمرٌ عجيب ، وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمرٌ عجيب أيضاً فكانتا صفتين مختلفتين " [2] وفي العطف مزيد تحذير وتهديد للمكذبين بالبعث .

والتشبيه يرسم في الخيال ــ كما في الآية ــ صورة قبيحة تنفر منها النفس ، يقول ابن الأثير : " ألا ترى أنّك إذا شبّهْت صُورة بصورة هي أحسنُ مِنْها كان ذلك مُثْبتاً في

[1] ــ انظر على سبيل المثال : معاني القرآن ، أبو زكريا الفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م ، ١٢٨/٣ ، و مفردات ألفاظ القرآن : ٨٤٨ ، ولسان العرب ابن منظور ، الدار المصرية ، د . ط ، د . ت ، ١١٢/١٦ــ ١١٣.

[2] ــ الكشاف : ٥٥/٤ ــ ٥٦ .

النّفْسِ خيالاً حسناً يدعو إلى التّرغيب فيها ، وكذلك إذا شبّهتها بصورة شئ أقبح منْها كان ذلك مُثْبتاً في النّفْسِ خيالاً قبيحاً يدعُو إلى التنفير عنها ، وهذا لانزاع فيه " [1] .

ومن التشبيهات التي تصوّر الهلاك والعذاب في الآخرة تصويراً مليئاً بالتهكم قوله تعالى : ﴿ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [2] .

فالتشبيه يُصوّر عذاب المكذبين ، والمشبه (هذا) يعود لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ كل ذلك اُختصِر في لفظة واحدة (هذا) ، وهو ما تعدد فيه المشبه واتحد المشبه به [3] وهو النـزل ، و (النـزل) " ما يُعدُّ للنّازل من الزاد " [4] وبين المشبه وهو أكل الزقوم وشرب الحميم والمشبه به وهو النـزل تضاد في صفة كل منهما ، وعند إرادة التهكم يُنَـزَّلُ التضاد منـزلة التناسب فيُصبح أكل الزقوم وشرب الحميم تكريماً لهم على وجه السخرية .

وفي التشبيه بالنـزل إشارة إلى أنّه " لما جعل هذا مع أنّه أمر مهول كالنـزل دل على أنّ بعده ما لا يُطيق البيان شرحه " [5] ، والتشبيه مرتبط بغرض بارز في السورة وهو تحذير وتهديد المكذبين بالبعث .

---

[1] ـــ المثل السائر : ١٢٣/٢ .

[2] ـــ سورة الواقعة ، آية ٥٦ .

[3] ـــ يُسمى (تشبيه التسويه) انظر : الإيضاح : ٣٧٠/٢ ، وشروح التلخيص : ٣ / ٤٢٩ ، والبلاغة فنونها وأفنانها : ٤٩ .

[4] ـــ انظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٨٠١ ، وأساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار بيروت ، ١٤٠٤هـ ـــ ١٩٨٤م ، ص ٦٢٨ .

[5] ـــ انظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـــ لبنان ، ط ٢ ، ١٤١١هـ ـــ ١٩٩٠م ، ١٩٦/٨ ، وحاشية الشهاب المُسمّاة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، شهاب الدين الخفاجي ، ضبطه عبد الرّزاق المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ ـــ ١٩٩٧م ، ٧٥/٩ ، وروح المعاني : ٢٠٨/٢٧ .

وكذلك مما يُصور الهلاك والعذاب في الآخرة قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ ﴾ [1] ، قوله تعالى : ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ تشبيه يُصور عذاب المكذبين في الآخرة ولا يخلو من التهكم ، حيث شبه الحميم وهو الماء الحار بالنزل وهو ما يُقدم للضيف تكريماً له .

ومما نُلاحظه في هذا التشبيه [2] اختلافه عن غيره ، من حيث إنّه يحتاج لمزيد من التفكير والتأمّل ، ويُفهم من التركيب ، فنجد المشبه به مُقدّما على المشبه ، والمشبه مسبوقا بمن المُبيّنة ، ويخلو من الأداة ، والتشبيه يتناسق وينسجم مع غرض بارز في سورة الواقعة وهو تحذير وتهديد المكذبين بالبعث .

وكما يقوم التشبيه المُصوّر بغرض التهديد والتحذير والتنفير ...الخ فإنه يقوم بغرض مضاد وهو التبشير والترغيب وذلك عندما يُصور عناصر النعيم يوم القيامة كقوله تعالى : ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [3] ، شبه غلمان الجنة باللؤلؤ المكنون في البياض والصفاء والنفاسة وحسن المرأى. ومع أنّ التشبيه في هذه الآية محسوس بمحسوس فإنّ المشبه غيبي غير مرئي فهو في حاجة إلى بيان وتصوير.

وهنا يُلحظ دقة التشبيه فلم يُصّور الغلمان باللؤلؤ فحسب وإنما باللؤلؤ المكنون أي " المصون في الصدف لم تُغيره العوارض " [4] وبذلك يبدو أشد بياضاً وصفاءً ولمعاناً وحسناً ، وأتى الفعل بصيغة المضارع (يطوف) لاستحضار هذه الصورة المُرغبة كما يدل على

---

[1] ـــ سورة الواقعة ، الآيتان : ٩٢ ـــ ٩٣ .

[2] ـــ يُسّمى التشبيه الضمني ، لمزيد من التفصيل انظر : حاشية الدسوقي (شروح التلخيص) ٣/٣٩٧ ، وعلم البيان ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، د . ط ، د . ت ، ص ١٠١ ، وعلوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الآفاق العربية ، ط ١ ، ١٤٢٠هـــ ـــ ٢٠٠٠م ، ص ٢٨٣ .

[3] ـــ سورة الطور ، آية ٢٤ .

[4] ـــ نظم الدُّرر : ١٩ / ١٨ .

التجدد وعدم الانقطاع ، فنعيمهم في الجنة دائم لا ينقطع ، والأداة (كأنّهم) تدل على شدة المشابهة بين الغلمان واللؤلؤ المكنون ممّا يُرغب في الجنة .

وكذلك مما جاء لتصوير نعيم يوم القيامة ، قوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ۝ ﴾ [1] .

الحور :" جَمْعُ أَحْوَرَ وحَوْرَاء ، والحَوَرُ قيل : ظُهُورُ قَلِيل مِنَ البَيَاضِ في العَيْن مِنْ بَيْنِ السّوَادِ ، واحورّت عَينهُ ، وذلك نهاية الحُسْنِ مِنَ الْعَيْنِ " [2] ، والعِينُ : " جمع عيناء وهي الواسعة العين " [3] ، فشبه الحور العين ـــ نساء الجنة ـــ باللؤلؤ المكنون في الصفاء والبياض والصون والتلألؤ " فليس اللؤلؤ المكنون لوناً فحسب ، وإنما هو لون صافٍ حيٌّ فيه نقاء وهدوء ، وهي أحجار كريمة تُصان ويُحرص عليها ، وللنِّساء نصيبهنَّ من الصيانة والحرص، وهن يتخذن من تلك الحجارة زينتهن ، فقربت بذلك الصلة واشتد الارتباط ، والصلة من حيث الرفق والحذر الذي يجب أن يُعامل به كلاهما ، وحتى في هذا الرفق أيضاً صلة تجمع بينهما فليس الحس وحده هو الرابط والجامع ، ولكن للنفس نصيباً وافراً " [4] .

والتشبيه للترغيب في الجنة ، وقد تآزرت عدة عناصر لتقديم هذا الغرض :

أولها : الأداة (أمثال) تدل على المساواة التامة بين الطرفين ، وجُمعت لتدل على أنّ تماثل حُسن الحور كتماثل حُسن اللؤلؤ بلا تفاوت ، يقول القرطبي في تفسير هذه الآية : " أي هن في تشاكل أجسادهن في الحُسن من جميع جوانبهن ،كما قال الشاعر :

كَأَنَّما خُلِقَتْ في قِشْرِ لُؤْلُؤةٍ ... فَكُلُّ أَكْنافِها وَجْهٌ لِمِرْصادِ " [5]

---

[1] ـــ سورة الواقعة ، الآيتان : ٢٢ ـــ ٢٣ .

[2] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٢٦٣ .

[3] ـــ لسان العرب : ١٧٧/١٧.

[4] ـــ ينظر : من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ٢٠٠٤ ، ص ١٩٣ والتعبير الفني في القرآن ، بكري شيخ أمين ، دار الشروق ، ط ٢، ١٣٩٦هـ ـــ ١٩٧٦ ، ص ١٩٤.

[5] ـــ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ ـــ ١٩٦٧م ، ٢٠٥/١٧ .

فدلالة (أمثال) وجمعها يُسهم في الترغيب في الجنة .

وثانيها : دخول الكاف على أمثال لتأكيد [1] مساواة الحور العين باللؤلؤ المكنون .

وثالثها : تقييد اللؤلؤ بـــ (مكنون) للإشارة إلى " أنّه أصفى وأبعد من التغير " [2] ، وفي ذلك مزيد ترغيب .

أرأيت كيف " تتّحد أجزاء الكلامِ ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأولٍ " ؟ [3] .

ومن التشبيهات التي تُصور النعيم للترغيب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [4] .

فالتشبيه يُصوّر حالة من أحوال نعيم الجنة ، وهي أنّ الحور كأنّها المَرْجَان ـــ صِغارُ اللّؤْلؤِ [5] ـــ في البياض ، وكأنّها الياقوت ـــ حجر من الأحجـــار الكريمـــة ، ... ولونـــه في الغالب شفّاف مشرب بالحمرة [6] ـــ في الحمرة ، وهذا أروع ما يكـــون بيـــاض مـــشرب بالحمرة، وهذان العنصران يُكونان ويُشكلان معاً صفة جمالية ، وهي لا تُفهم إلامنهما معاً فالمرجان يُفهم منه البياض والياقوت يُفهم منه الحمرة مع الصفاء والملاسة ، وهو من تشبيه

---

[1] ـــ التحرير والتنوير : ٢٩٦/٢٧ .

[2] ـــ البحر المحيط : ٢٠٦/٨ .

[3] ـــ دلائل الإعجاز : ٩٣ .

[4] ـــ سورة الرحمن ، الآيات : ٥٦ ـــ ٥٨ .

[5] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٧٦٤ .

[6] ـــ المعجم الوسيط ، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزّيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المكتبة الإسلامية ، ٢ / ١٠٦٥ .

شئ بشيئين [1] " لبلوغ الأمر في الحسن إلى حد لا يُساويه فيه شئ واحد ليشبه به "[2].

وكذلك من التشبيهات التي تُصوّر النعيم للترغيب فيه قوله تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[3].

التشبيه يُصوّر عرض الجنة بما يعرفه الناس ويعقلونه [4] وهو عرض السماء والأرض " أي كعرضها جميعاً لو ألصق أحدهما بالآخر " [5] في العظم والامتداد والسعة ، " وفي ذلك البيان العجيب بما قد تقرر في النفس من الأمور والتشويق إلى الجنة بحسن الصفة مع مالها من السعة " [6] ، وخُصّ العرض دون الطول " لأنّ كل ماله عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله ، فإذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط وأمدّ " [7] ، ففي (سابقوا) وتخصيص العرض مزيد ترغيب وتشجيع للعمل والفوز بالجنة .

بل إنّ هذه الآية تآزرت فيها صورتان لتقديم الغـــرض : (الأولى) الاســـتعارة في قوله:(سابقوا) ، والصيغة التي جاء عليها الفعل (الأمر) ، لا للحـــث فحـــسب وإنّمـــا للمبادرة والمنافسة للفوز بالجنة . و (الثانية) التشبيه في قولـــه : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ بتشبيه عرض الجنة بصورة معروفة وذلك أوقع في الـــنفس ، وأكثـــر ترغيباً وتشجيعاً للعمل والفوز بالجنة .

---

[1] ــ وما تعدد فيه المشبه به والمشبه واحد يُسمّى (تشبيه الجمع) انظر : الإيضاح : ٢/٣٧١وشروح التلخيص : ٣/٣٤٠ ، ونظرات في البيان ، محمد عبد الرحمن الكردي ، مطبعة السعادة ، ١٣٩٧هـــ ــ ١٩٧٦م ، ص ٥٨ ــ ٥٩ .

[2] ــ نظم الدُّرر : ١٩/١٨٦ .

[3] ــ سورة الحديد ، آية ٢١ .

[4] ــ حاشية العلامة الصّاوي على تفسير الجلالين ، أحمد بن محمد الصاوي ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ــ لبنان ، ط ١ ، ٦ / ٦٧ .

[5] ــ انظر : حاشية الشهاب : ٩ / ١٠٣ ، وروح المعاني : ٢٧ / ٢٦١ .

[6] ــ النكت : ٨٤ .

[7] ــ الكشاف : ٤ / ٦٥ .

ثم إنّ الأداة ذكرت وهي (الكاف) ، والغرض لم يتطلب المبالغة (بحذفها) في حين تطلبه في سورة آل عمران : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ...﴿١٣٣﴾ ﴾ [1] وذلك " لبنائها على الحضّ على الجهاد وعظيم فَضْله ، وذكر قصة بَدر وأُحُد من لدن قوله : " وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... " إلى ما بعد الآية المتكلم فيها ؛ ولما لم يكن في آية الحديد شئ من ذلك ناسب كلاماً ورد فيها . والله أعلم " [2] ، أضف إلى هذا تفسير النيسابوري الذي ذكره الألوسي فقال : " ذكر النيسابوري في وجه التعبير هنا ــ بسابقوا ــ وفي آية آل عمران ــ بسارعوا ــ وبالسماء هنا وبالسماوات هناك ــ وبكعرض ــ هنا ــ وبعرض ــ بدون أداة تشبيه ثمّ كلاماً مبنياً على أنّ المراد بالمتقين هناك السابقون المقربون ، وبالذين آمنوا هنا من هم دون أولئك حالاً " [3] .

وتظهر قيمة التشبيه في إيضاح المعنى وتقريبه و " تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي ، وإدنائه البعيد إلى القريب ليُفيد بياناً " [4] .

ومن التشبيهات التي تصوّر هولاً من أهوال يوم القيامة ، قوله تعالى : ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ [5] . بُسّت :" أي فُتِّتَتْ ، من قولهم : بَسَسْتُ الحِنْطَة وَالسّوِيق بالماء : فَتَتُّهُ به " [6] ، والتشبيه يُصوّر هولاً من أهوال يوم القيامة وهو أنّ الجبال الصُّلبة الثابتة المتماسكة تتفتت تفتتاً فتكون هباءً وهو " دُقاق التّرابِ وما انبثّ في

---

[1] ــ سورة آل عمران ، آية ١٣٣ .

[2] ــ معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، د . ط ، د . ت ، ٢ / ٦٣٤ .

[3] ــ روح المعاني : ٢٧ / ٢٦٢ .

[4] ــ البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٤١٥ .

[5] ــ سورة الواقعة ، الآيتان : ٥ ــ ٦ .

[6] ــ مفردات ألفاظ القرآن : ١٢٢ ، وأساس البلاغة : ٣٩ .

الهَوَاءِ فَلاَ يَبْدُو إلاّ في أثْنَاءِ ضَوءِ الشمس في الكُوّةِ " [1] ، وليس ذلك فحسب وإنّما هباءً منبثا أي متفرقاً [2] ومتطايراً بلا نظام ولا تحديد ، وهذا أقوى في التصوير الباعث على الاعتبار وفي تهديد المكذبين بالبعث .

وفي هذا التشبيه حذفت الأداة لأنّ الغرض يتطلب حذفها ، ألا ترى أنّه لو ذكرت الأداة لما وجدنا هذه القوة في تصوير التغيير الكامل والهول الباعث على الاعتبار ؟ .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾[3].

التشبية يصوّر هولاً من أهوال يوم القيامة وهو احمرار السماء وتموجها واضطرابها ، فيشبه السماء بالوردة في اللون (الحمرة) ، ثم ينتقل لتشبيه آخر عن طريق الكاف (كالدهان) ـــ وهو دُرْدِيُّ الزّيْتِ [4] ـــ في الاضطراب والتموج والذوبان .

فالمشبه واحد والمشبه به متعدد لتصوير مدى الهول الدال على مدى نعمـــة الله في " حفظ السماء عن مثل ذلك بتأخير إرسال هذا وغيره من الأسباب وجعلها محـــل الـــروح والحياة والرزق من أعظم الفواضل " [5] ، وبذلك ينسجم مع مقام سورة الرحمن وهو تعـــدد نعم الله والتقرير بها .

ثم إنّ الغرض عندما تطلب المبالغة في احمرار السماء وأنها نفس لون الوردة حـــذفت الأداة ، وعندما لم يقصد المطابقة التامة ذكرت الأداة (كالدهان) .

---

[1] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٨٣٢ .

[2] ـــ المصدر السابق : ١٠٨.

[3] ـــ سورة الرحمن ، آية ٣٧ .

[4] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٣٢٠ .

[5] ـــ نظم الدُّرر : ١٩ / ٧٥ .

فقد شبه انشقاق السماء بالوردة وبالدهان في صفة محددة دون سائر الصفات ، وفي الحاقة قال تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ ﴾[1]، فهل بينهما اختلاف أو أنهما يكمل بعضهما بعضا؟

الجواب : التعبير الحقيقي في الحاقة (واهية) مترتب على التشبيه في الرحمن ، فإذا كانت السماء وردة وكالدهان فهي لا شك إلى سقوط ، فالحقيقي مترتب على ما يدل عليه التشبيه .

والتشبيه يوضح المعنى ويبينه عن طريق إخراج الخفي الغيبي إلى محسوس معتاد ، يقول ابن سنان " أن يُمثّلَ الغائبُ الخفيُّ الذي لا يُعتادُ بالظّاهر المحسوس المعتاد فيكون حُسنُ هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد .." [2] .

ومما يُصوّر حال الناس في ذلك اليوم قوله تعالى : ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ ﴾[3] .

التشبيه يُصوّر " هيئة خروج الناس من القبور متراكمين بهيئة خروج الجراد متعاظلاً يسير غير ساكن " [4] ، وعُبّر عن الهيئة بمفرد (الجراد) ، وخُصّ دون غيره " لأنه مثل في الكثرة والتموج ، يُقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاءوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته " [5] ، ويتضافر التشبيه مع الكناية قبله ــ خشعاً أبصارهم ــ لتصوير حال الناس المضطربة من ناحية ولتأكيد البعث من ناحية أخرى .

---

[1] ــ سورة الحاقة ، الآيتان : ١٥ ــ ١٦ .

[2] ــ سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق : علي فودة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م ، ص٢٣٥ .

[3] ــ سورة القمر ، آية ٧ .

[4] ــ التحرير والتنوير : ٢٧/ ١٧٩ .

[5] ــ الكشاف : ٤/٣٧ .

وتصوير حال الناس عندما يخرجون من القبور وقع كذلك في سورة القارعة فقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾[1] .

وهنا نتساءل : لماذا اختلف المشبه به ، ولماذا وقعت الأداة (كأن) في القمـــر ، و (الكاف) في القارعة ؟ وهل بينهما فرق ؟

وحول اختلاف (المشبه به) نقف عند رأيين ونُرجح الأقوى ، الـــرأي الأول لأبي حيان حيث قال : " وجاء تشبيههم أيضاً بالفراش المبثوث ، وكل من الجراد والفـــراش في الخارجين يوم الحشر شبه منهما ، وقيل : يكونون أولاً كالفراش حين يموجـــون فـــزعين لا يهتدون أين يتوجهون ؟ لأن الفراش لا جهة له يقصدها ، ثم كالجراد المنتشر إذا توجهوا إلى المحشر والداعي ، فهما تشبيهان باعتبار وقتين "[2] .

والرأي الثاني للفخر الرازي وهو " أنّ الله سبحانه وتعالى شبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر ، وبالفراش المبثوث ، لأنهم لما بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد والفراش ، ويُؤكد ما ذكرنا بقوله تعالى : ﴿... فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾وقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقوله في قصة يأجوج ومأجوج ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ... ﴾فإن قيل : الجراد بالنسبة إلى الفراش كبار ، فكيف شبه الشئ الواحد بالصغير والكبير معاً ؟ قلنا شبه الواحد بالصغير والكبير لكن في وصفين . أما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحدة إلى غير جهة الأخرى . وأما الجراد فالبكثرة والتتابع ، ويحتمل أن يُقال إنها تكون كباراً أولاً كالجراد ، ثم تصير صغاراً كالفراش ، بسبب احتراقهم بحر الشمس "[3] مع مراعاة الفاصلة في القمر (منتشر) .

---

[1] ـــ سورة القارعة ، آية ٤ .

[2] ـــ البحر المحيط : ١٧٤/٨ .

[3] ـــ التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، دار الفكر ، ١٤١٠هـــ ١٩٩٠م ، ٣٢ / ٧٢ .

وفي كل من الرأيين قوة ، وإن كان ما ذكره أبو حيان هو المُرجَّح فيما يبدو ــ والله أعلم ــ لأن اختلاف الوصفين إنما يكون مترتباً على اختلاف الوقتين .

أما عن الفرق بين الأداتين ، وسرّ اختلافهما ، فقد فرّق عبد القاهر الجرجاني بينهما فقال : " تقول " زيد كالأسد " ، أو " مثل الأسد " أو " شبيه بالأسد " فتجد ذلك كُلَّه تشبيهاً غُفْلاً ساذَجاً ، ثم تقول : " كأنّ زيداً الأسد " ، فيكون تشبيهاً أيضاً ، إلا أنك ترى بينه وبين الأول بَوْناً بعيداً ، لأنّك ترى له صورة خَاصّةً ، وتَجدُكَ قد فَخَّمت المعنى وزدتَ فيه ، بأن أفدْتَ أنه من الشَّجاعة وشدَّة البطش ، وأنّ قلبَه قلْبٌ لا يُخامره الذُّعْر ولا يدخله الرَّوْع ، بحيث يُتَوَهّم أنه الأسد بعينه " [1] ، والتشبيه بالجراد يكون أكثر مطابقة ومماثلة للنّاس حين اندفاعهم للمحشر من الفراش المبثوث ، فالصورة تكون أوضح وأكثر مماثلة لذا ناسبها الأداة (كأنّ) ، فـ (كأنّ) أقوى لأنها توحي بقوة المماثلة وهذا يتضح في الجراد المنتشر لأنّه أكبر وأقرب للناس عند انتشارهم ، وإذا قرب الشبه جداً بين المشبه والمشبه به كان المقام لكأن وليس أدل على ذلك من قول بلقيس ملكة سبأ حينما نُكِّر لها عرشها : (كأنه هو) .

والتشبيه أدى إلى " إبراز المعاني الذهنية في صورة حية وإيضاح الحالات النفسية في مظاهر حسية ، وتقريب المشاهد الغيبية بنماذج مرئية " [2] .

والتشبيه الذي يهدف للتصوير قد يكون طرفاه محسوسين ــ كالتشبيهات السابقة ــ وقد يكون المشبه معقولاً والمشبه به محسوساً ، ومع أنّ البلاغيين ذكروا أن الثاني هو أكمل أنواع التشبيه للانتقال فيه من الخفاء إلى الجلاء ، إلا أنّنا عندما نراجع النوع الأول في سور جزء الذّاريات نجده لا يقل روعة وحُسْناً ، لأنّ المشبه المحسوس وإن كان كذلك لكنه

---

[1] ــ دلائل الإعجاز : ٤٢٥ .

[2] ــ أفنان البيان ، الشحات محمد أبو ستيت ، د . ط ، د . ت ، ص ١٨ .

مجهول بالنسبة لنا لكونه أمراً غيبياً أو غير مألوف كما سبق في تشبيه الهلكى من قوم عـــاد بجذوع النخل الخاوية أو المنقعر ... الخ ، ولكل نوع مجاله على كل حال .

ومن النوع الثاني قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ۝ ﴾[1] المعنى " وما أمرُنا للشئ إذا أمرناه وأردنا أن نُكوّنه إلا قولةٌ واحدة : كُن فيكون ، لا مراجعة فيها ولا مُرادة " كَلَمْح بالبَصَر " يقول جلّ ثناؤه : فيوجد ما أمرناه وقلنا له : كُنْ كَسُرعةِ اللمحِ بالبصر لا يُبطئ ولا يتأخر "[2] .

شُبّه تحقق ما يأمر الله به بلمح البصر ، يقول أبو حيان : " تــشبيه بأعجــل مــا يحس"[3]، وعبارة أبي حيان مع إيجازها تبين ميزة المشبه به وصفته التي تنسحب على المـــشبه وهي العجلة والسرعة مع التقريب لأنّه عن طريق ما يحس ، وفي نظم الدرر " فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه ، فكذلك الأفعال كلها عند الله "[4] وعبارته تدل على يسر الأمر بالنسبة لقدرة الله ، فوجه الشبه : السرعة واليسر .

وفي سورة النحل قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾[5] فلماذا زيد (أو هو أقرب) في النحل دون القمر رغم أنهما افتتحا بقرب الساعة (اقتربت الساعة) وفي النحل : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ﴾ ؟ .

يجيب على ذلك ابن عاشور رابطا كل آية بمقامها فيقول : " وقد جاء في ســـورة النحل " وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب " فزيد هنالك " أو هو أقرب " لأنّ

---

[1] ـــ سورة القمر ، آية ٥٠ .

[2] ـــ تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط ١ ، ١٤٢٢هـــ ـــ ٢٠٠١م ، ٢٢ / ١٦٤ .

[3] ـــ البحر المحيط : ٨ / ١٨٢ .

[4] ـــ انظر : نظم الدُّرر : ١٩ / ١٣٤ ، وحاشية الصّاوي على تفسير الجلالين : ٦ / ٣٥ .

[5] ـــ سورة النحل ، آية ٧٧ .

المقام للتحذير من مفاجأة الناس بها قبل أن يستعدوا لها فهو حقيق بالمبالغة في التقريب ، بخلاف ما في هذه الآية فإنه لتمثيل أمْر الله وذلك يكفي فيه مجرد التنبيه إذ لا يتردد السامع في التصديق به " [1] .

ومن تشبيه المعقول بالمحسوس قوله تعالى : ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [2] . التشبيه يعكس إحساس المنعمين بالرضا والامتنان بالنجاة من العذاب ، ولا يخلو من تهديد المكذبين بهذا العذاب الذي شبهه أهل الجنة بما يعرفونه وهو السّموم أي الريح الحارة التي تدخل الأجسام بقوة وتؤثر تأثير السُّمِ [3] .

ووقع المشبه (العذاب) مضافاً إلى المشبه به " السّموم "، والأداة محذوفة للمبالغة في شدة العذاب وقوته، وفي ذلك تهديد قوي للمكذبين ، كما يعكس إحساس المنعمين بنعمة الله وفضله في صرفه عنهم ، لأن هذا التشبيه مما حكاه القرآن على لسانهم وأنه مما يقولونه وهم في الجنة .

ومن تشبيه المعقول بالمحسوس قوله تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [4] .

التشبيه للتحذير والتعظيم ، التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا وأنها فانية ، وزائلة ، وتعظيم الدار الآخرة وأنّها دار قرار وخلود .

---

[1] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٢١ .

[2] ـــ سورة الطور ، آية ٢٧ .

[3] ـــ انظر : معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ٢ ، ١٣٩٠هـ ـــ ١٩٧٠م ، ٣ / ٦٢ ، ومفردات ألفاظ القرآن : ٤٢٤ .

[4] ـــ سورة الحديد ، آية ٢٠ .

فـ " شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتمل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات ، فبعث عليه العاهة فهاج واصفرّ وصار حطاماً " [1] ، فهو تشبيه حال بحال يجمعهما الهيئة الحاصلة من البداية المبهجة والنهاية المحزنة رغم أنّ النهاية المحزنة لم تُذكر في المشبه اعتماداً على ذكرها في المشبه به لأنّ ما في المشبه به ينسحب على المشبه . وقصر المشبه بـ (إنما) للتأكيد على زوال الدنيا وفنائها .

ومما يزيد من قيمة التشبيه : أنّه صالح للتوزيع والتقسيم ومقابلة كل جزء من المشبه بجزء من المشبه به " فيُشبه أول أطوار الحياة وإقبالها بالنبات عقب المطر ، ويُشبه الناس المنتفعون بإقبال الدنيا بناس زُرّاع ، ويُشبه اكتمال أحوال الحياة وقوة الكهولة بهياج الزرع ، ويُشبه ابتداء الشيخوخة ثم الهرم وابتداء ضعف عمل العامل وتجارة التاجر وفلاحة الفلاح باصفرار الزرع وبهيئة الفناء ، ويُشبه زوال ما كان للمرء من قوة ومال بتحطيم الزرع " [2] ، وعلى الرغم من ذلك فإن الغرض لا يتحقق إلا باعتباره صورة قد انضمت عناصرها وامتزجت وتفاعلت فيما بينها .

وقد تعددت الأقوال في معنى (الكفار) " (الأول) قال ابن مسعود : المراد من الكفار الزراع ، قال الأزهري : والعرب تقول للزارع كافر ، لأنه يكفر البذر الذي يبذره بتراب الأرض ، وإذا أَعْجب الزراعَ نباته مع علمهم به فهو في غاية الحُسن ، (الثاني) أن

---

[1] ـــ الكشاف : ٤ / ٦٥ .

[2] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٤٠٦ .

المراد بالكفار في هذه الآية الكفار بالله وهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا وحرثها من المــؤمنين ، لأنهم لا يرون سعادة سوى سعادة الدنيا " [1] .

ومن العلماء من ذهب للقول الأول [2] ، ومنهم من رجح القــول الثــاني [3] ، " وسواء كان المقصود بالكفار هنا الزراع أو الكفار ، فإن الله عزّ وجل يعرض الحياة الدنيا في هذه الصور مُحذراً من فتنتها حتى لا تتعلق النفوس بها وتستهويها " [4] .

[1] ـــ انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي ، تحقيق : المجلس العلمي بتارود انت ، ١٤١١هـــ ـــ ١٩٩١م ، ١٥ / ٤٢٢ ، التفسير الكبير : ٢٩ / ٢٣٤ ـــ ٢٣٥ ، والبحر المحيط : ٨ / ٢٢٣ ، وحاشية الشهاب : ٩ / ١٠٢ ، وروح المعاني : ٢٧ / ٢٦٠ .

[2] ـــ انظر على سبيل المثال : تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، شرحه ونشره السّيد أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، ط ٢، ١٣٩٣هـــ ـــ ١٩٧٣م ، ص ٧٥ ـــ ٧٦ ، وإرشاد العقل السليم : ٨ / ٢١٠ ، وفي ظلال القرآن : ٢٧ /١٧٢ ، وأساليب البيان والصّورة القرآنية ، محمد إبراهيم شادي ، دار والي الإسلامية ، ط ١، ١٤١٦هـــ ـــ ١٩٩٥م ، ص ١٠٣ .

[3] ـــ الجامع لأحكام القرآن : ١٧ / ٢٥٦ .

[4] ـــ موسوعة الأمثال القرآنية ، محمد عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٤هـــ ـــ ١٩٩٤م ، ٢ / ٣٠٩ .

تعقيب :

١ ـــ دور الأداة في التشبيهات السابقة : ـــ

قد تبيّن مما سبق أنّ التشبيه عندما يقتصر الغرض منه على القياس والمماثلة وبيان المساواة بين طرفي التشبيه تكون الأداة هي (مثل) كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾، وقد تأتي (الكاف) للدلالة على هذا كقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ... وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾ ، والكاف هنا لا تتجاوز المثلية ، والتشبيه في هذه الحالة يقوم بمهمة كبيرة في التحذير والتهديد ، وقد يكون للتبشير والترغيب كما سبق .

أما عندما يكون الغرض من التشبيه تصوير المشبه أو تقريب صورته ونقله من المجهول إلى المعلوم والغيبي إلى المشاهد ، فإننا رأينا الأداة حينئذ هي الكاف تارة كقوله تعالى : ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾، وقوله تعالى : ﴿ ... وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾ ، وكأن تارة أخرى كقوله تعالى :﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ وقوله تعالى :﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾، وقد تأتي أمثال كقوله تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

وبالنظر في هذه الشواهد يتبيّن أنّ لكل أداة ميزة وسياقاً خاصاً بحيث تتعادل في ميزانها وتناسب سياقها ، فالكاف أداة موجزة تأتي عند إرادة الإيجاز مع تقريب الطرفين وكأنّ أداة مؤكدة للتشبيه ، وأمثال أداة تدل على المساواة بين الطرفين .

لكن المهم هنا أنّ هذه التشبيهات جميعها مرسلة مذكورة الأداة وليست مؤكدة مع أنّ البلاغيين يرون بأن التشبيه المرسل أقل بلاغة من المؤكد [1] .

والحقيقة أن الغرض إذا اقتضى ذكر الأداة فذكرها هو الأبلغ ، وإذا اقتضى حـــذفها فحذفها هو الأبلغ [2] ، ولما كان من غاية التشبيه في القرآن تقريب المعاني وبيان حال الأشياء وتصويرها دون مبالغة فإن الأنسب حينئذ هو ذكر الأداة حتى لا يظن أن الطرفين سواء .

٢ ـــ لم يُذكر وجه الشبه في جميع التشبيهات للإيجاز وعموم الاشتراك لأنّه لو نُصّ عليه لما أمكن تناول صفات كثيرة ، فحذفه أبلغ من ذكره من ناحية تناول صفات كثيرة بين المشبه والمشبه به لجمع أعناق المتنافرات ، أو لأنّ الصفة المشتركة والمقصودة بالتشبيه تكون معلومة مفهومة فلا يحتاج المتدبر إلى ذِكرها كما رأينا في تشبيه السماء بالوردة فلا يعقل أن يكون التشبيه في شكلها وهيئتها ولكن الغرض الواضح هو التشبيه في اللون فقط وهو الحُمرة .

٣ ـــ عدّ البلاغيون تشبيه المعقول بالمحسوس أكمل أنواع التشبيه ، لما فيه من الانتقال مـــن الخفاء إلى الجلاء ، وإبراز للمعنى وتوضيحه ، إلا أنّنا عندما نُراجع التشبيهات السابقة نجد كثيراً من تشبيه المحسوس بالمحسوس ، وهذا المحسوس (المشبه) مجهول غير مرئي ولا مألوف لنا مما يجعله كالمعقول ، وبذلك نجد كل تشبيهات جُزْء الذّاريات في أعلـــى درجـــة مـــن البلاغة.

٤ ـــ ومن الظواهر التي نُلاحظها بوضوح في تشبيهات سور الذّاريات :

---

[1] ـــ الإيضاح : ٢ / ٣٩٠ .

[2] ـــ لمزيد من التوضيح انظر : أساليب البيان : ٦٩ .

١ــ انحصار التشبيه التهكمي على سورة الواقعة لأنّهم كانوا يستبعدون وقوع البعث و العذاب ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] .

٢ــ انحصار (تشبيه الجمع) على سورة الرحمن ، وذلك لأنّ سورة الرحمن فيها بسط للنعيم ناسبه تعدد المُشَبه به ليدل على تمام النعمة .

٣ ــ كثرة التشبيه المفرد في سور جزء الذّاريات ، وذلك لأنّه أبسط وأوضح أنواع التشبيه ، فهو تشبيه شئ واحد بشئ واحد ، وكثرته دليل على أنّ التشبيه في القرآن ليس غاية في ذاته وإنما وسيلة لتقديم الأغراض الدينية بأبسط العناصر ، والمهم أنّ كل نوع يخضع لسياقه وغرضه .

٤ ــ ومما تقاربت صياغته لتقارب غرضه قوله تعالى : ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

قوله : (فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثًّا) و (فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) بينهما تقارب من حيث حذف الأداة للمبالغة في قوة الهول ، وهما يُصوّران هولاً من أهوال يوم القيامة للتخويف والتحذير.

[1] ــ سورة الواقعة ، الآيتان : ٤٧ ــ ٤٨ .

الفصل الثاني :
الاستعارة في جزء الذّاريات :
ظواهرها وأسرارها

إضاءة :

قَسّمَ البلاغيون المجاز بحسب العلاقة إلى قسمين :

١ ـــ **مجاز مُرسل** " وهو ما كانت العلاقة بين ما أُسْتُعْمِل فيه وما وُضع له مُلابَسَةً غير التشبيه ، كاليَدِ إذا استُعْمِلَتْ في النِّعْمةِ ، لأن من شأنها أن تَصْدرَ عن الجارحة ، ومنها تَصل إلى المقصود بها "[١] .

٢ ـــ **استعارة** " وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وُضِع له " [٢] فهي مبنية على التشبيه ، يقول عبد القاهر الجرجاني : " اعلم أنّ الاستعارة كما علمت تعتمد التشبيه أبداً " [٣] ، ولكنها علاقة تقوم على الاتحاد وتناسي التشبيه وإحلال أحد الطرفين محل الآخر في حين أنها في التشبيه علاقة إلحاق تُفيد الغيرية [٤] .

والاستعارة فنٌ عظيمٌ من الفنون البيانيّة التي حظيت بعناية البلاغيّين قديماً وحديثاً ، يقول عبد القاهر الجرجاني : " اعلم أنّ " الاستعارة " في الجملة أن يكون للّفظ أصلٌ في الوضع اللغويّ معروفٌ تدلُ الشواهد على أنّه اختُصّ به حين وُضع ،ثم يستعمله الشاعر أوغير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم ، فيكون هناك كالعَارِيَّة " [٥] ، وعرّفها السكاكي بقوله : " هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطّرف الآخر مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبَه به ، دالاً على ذلك بإثباتك للمُشبه ما يخصُّ المُشبَه به " [٦] .

---

[١] ـــ الإيضاح : ٢ / ٣٩٧ .

[٢] ـــ المصدر نفسه : ٢ / ٤٠٧ .

[٣] ـــ أسرار البلاغة : ٥٥ .

[٤] ـــ انظر : فن التشبيه ـــ بلاغة . أدب . نقد ـــ ، علي الجندي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٣٨٦هـــ ١٩٦٦م ، ١ / ٥٧ ، وفروق دلالية بين أنواع الاستعارات ، عبد الحافظ إبراهيم البقري ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ، ص ٩ ـــ ١٠ .

[٥] ـــ أسرار البلاغة : ٣٠ .

[٦] ـــ مفتاح العلوم : ٣٦٩ .

وهي تأتي قبل التشبيه والكناية من حيث الكثرة في جزء الذّاريات ، وربما كان ذلك في القرآن كله .

ولا بد أن تكون للاستعارة مزية لا تقوم بها الحقيقة ، يقـــول الرمـــاني : " وكـــل استعارة حسنة فهي تُوجِب بياناً لا تنوب مَنابه الحقيقة ، وذلك أنّه لو كان تقـــوم مقامـــه الحقيقة ، كانت أولى به ، ولم تجز الاستعارة " [1] ورفع عبد القاهر من قدرها ومنــــــزلتها وعدّها من الأصول التي عليها مدار حُسن الكلام ـــ وهي التشبيه والتمثيل والاســـتعارة ـــ وقال : " فإنّ هذه أصولٌ كبيرةٌ ، كأنّ جُلّ مَحَاسِنِ الكلامِ ، إن لم نقل : كُلّهـــا متفرّعـــةٌ عنها ، وراجعةٌ إليها ، وكأنها أقطابٌ تدور عليها المعاني في مُتصرَّفاتها ، وأقطارٌ تُحيط بها من جهاتها " [2] .

وتفيدُ الاستِعَارَة الإيجَاز والمُبَالَغَة والتأكيد والتقرير والإيضاح والبيان ، يقـــول أبـــو هلال العسكري : " الاستعارة : نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غـــيره لغرض ، وذلك الغرض إما أن يكون شَرْح المعنى وفضل الإبانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ ، أو تَحْسِين المعرض الذي يبرز فيه ، وهـــذه الأوصـــاف موجودة في الاستعارة المصيبة ، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمّنُ ما لا تتضمنه الحقيقـــة ، من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً " [3] . ويقول عبد القاهر عـــن خاصـــية الإيجاز : " ومن خصائصها التي تُذكَر بها ، وهي عنوان مناقبها ، أنّها تُعطيك الكـــثير مـــن المعاني باليسير من اللّفظ ، حتى تُخرجَ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُرَر ، وتَجْنِـــي مـــن الغُصن الواحد أنواعاً من الثّمر " [4] وعن الإيضاح والبيان من خلال تجسيد المعـــاني العقليـــة

[1] ـــ النكت : ٨٦ .

[2] ـــ أسرار البلاغة : ٢٧ .

[3] ـــ الصناعتين : ٢٧٤ .

[4] ـــ أسرار البلاغة : ٤٣ .

وتقديمها في صورة محسوسة يقول : " فإنك لترى بها الجمادَ حيّاً ناطقاً ، والأعجمَ فصيحاً ، والأجْسَامَ الخُرسَ مُبينةً ، والمعاني الخفية باديةً جليَّةً " [1] .

وتنقسم الاستعارة ـــ من حيث ذكر أحد طرفيها ـــ إلى نوعين :

١ ـــ **تصريحية** وهي أن " تجعل الشيءَ الشيءَ ليس به " [2] ، وحدّها السكاكي بقوله : " أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به " [3] نحو قوله تعالى ﴿ إنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ... ﴾[4] " فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي ، والمستعار منه التكبّر ، والجامع الاستعلاء المفْرِطُ " [5] ، استعار الطغيان (التكبر) لكثرة الماء بجامع الاستعلاء المفرط ، حذف المشبه بعد تناسى التشبيه وادعاء حلول المشبه في صورة المُشَبه به ، ثم استُعير اللفظ الدال على المُشَبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

٢ ـــ **مكنية** : وهي أن تجعل " للشيء الشيءَ ليس له " [6] ، وحدّها السكاكي بقوله : " أن تذكر المشبه وتريد به المُشَبه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها ، وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئاً من لوازم المُشَبه به المساوية " [7] كما في قول أبي ذؤيب الهذلي :

" وإذا المنيّةُ أنْشَبَتْ أظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلّ تَميمةٍ لاَ تَنْفَعُ " [8]

شبه المنية بالسبع ثم حذف المُشَبه به وأثبت لازمه للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية .

---

[1] ـــ المصدر نفسه .

[2] ـــ دلائل الإعجاز : ٦٧ .

[3] ـــ مفتاح العلوم : ٣٧٣ .

[4] ـــ جزء من الآية ١١ من سورة الحاقة .

[5] ـــ الإيضاح : ٢ / ٤٢٩ .

[6] ـــ دلائل الإعجاز : ٦٧ .

[7] ـــ مفتاح العلوم : ٣٧٨ ـــ ٣٧٩ .

[8] ـــ شرح أشعار الهذليين ، أبو سعيد الحسن بن الحسين السُكّريّ ، حققه : عبد السَّتار أحمد فرّاج ، راجعه : محمود محمد شاكر ، دار العروبة ، القاهرة ، ١ / ٨.

ثم الاستعارة التصريحية إن كان اللفظ المستعار " اسم جنس فأصْلِيةٌ كأسد ، وقَتْل . وإلاّ فتبعيّةٌ كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف "[1] ، وإن كان اللفظ المستعار مركّباً دالاً على هيئة فهو استعارة تمثيلية .

أمّا موضوع دراستنا في هذا الفصل فهو : الاستعارة في جزء الذّاريات : ظواهرها وأسرارها ، وإليك بيان ذلك .

[1] ـ الإيضاح : ٤ / ٤٢٩ .

الاستعارة في جزء الذّاريات : ظواهرها وأسرارها

سأقوم في هذا الفصل بدراسة مواطن الاستعارة ودلالاتها وأسرارها وعلاقتها بالمقام الذي ترد فيه من خلال تتبع الظواهر البارزة وهي :

١ ـــ (الاستعارات التصريحية الشائعة) : ـــ

إنّ من الاستعارة التصريحية ما تُنوسِيَ وشاع حتى أصبح كالحقيقية لا يلفتنا الجانب المجازي فيه ، ولا نتعرف عليه إلا بالتقليب في المعاجم اللغوية التي اهتمت بمراحل استعمال الكلمات كالمفردات للراغب وأساس البلاغة للزمخشري وغير ذلك [١] .

وممّا ورد منها في هذا الجزء ، قوله تعالى : ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٢] .

بعض المعاجم تتجه إلى أنّ الحجة من المعاني اللغوية للسلطان كأساس البلاغة : " له سلطان مبين : حجة " [٣] ، وبعضها الآخر يتجه إلى أن استخدام السلطان في الحجة على سبيل التجوز كالمفردات حيث قال : " سُمِّيتْ الحُجَّةُ سُلْطَاناً ، وذلك لِمَا يَلْحَقُ مِنَ الهُجُومِ على القُلُوبِ " [٤] بتشبيه المعجزة (الحجة) بالسلطان في قوة التأثير والسيطرة والاستيلاء ، حذف المشبه واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية ، وذلك من ناحية أنّ الحجة تهجم على القلب كما أن السلطان يهجم على الجيش ، وفي استعارة السلطان للحجة إشارة إلى أنّ المعجزة أقوى من سلطان فرعون ، فهي مُبينة وبرهان دال على صدق موسى عليه السلام وأنّه رسول من رب العالمين .

---

١ ـــ من توجيهات المشرف .

٢ ـــ سورة الذّاريات ، آية ٣٨ .

٣ ـــ أساس البلاغة : ٣٠٥ .

٤ ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٤٢٠ .

وهذه من الاستعارات المنسيّة بدليل أنّا لا نجدها في كتب المفسرين ولا في بعض المعاجم اللغوية ، و لم يلفتنا وينبهنا لها سوى كلام الراغب الذي بحث في الأصل اللغوي للكلمة وقارنه بالاستعمال ، أمّا غيره فكانوا يتعاملون مع الاستعمال باعتباره حقيقة نظراً لشيوع السلطان في معنى الحجة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ ﴾[1] " الوقوع : أصله النزول من علوّ واستعمل مجازاً للتحقق وشاع ذلك ، فالمعنى : إن عذاب ربك لمتحقق " [2] ، وهذه من الاستعارات التي شاعت حتى أصبحت كالحقيقة بدليل كلام ابن عاشور الذي لم يُنبه غيره من المفسرين إلى أصل الاستعمال الذي كشف عن الاستعارة لكنهم كانوا يُسلمون بما تطورت إليه الكلمة .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ ﴾[3] " الوقوع : ثُبوتُ الشيء وسقُوطُه ، يُقالُ : وَقَعَ الطائرُ وقُوعاً ، والواقِعَةُ لا تُقالُ إلاّ في الشدةِ وَالمكْرُوه ، وأكثَرُ ما جاءَ في القرْآنِ من لفْظِ " وَقَع " جاء في العذَابِ والشدائِد نحُو : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ " [4] ، وهي من الاستعارات الشائعة ، يقول الشهاب : " الوقعة السقطة القوية ، وشاعت في وقوع الأمر العظيم " [5] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾[6] " اللّقاءُ : مُقَابَلَةُ الشئِ ومُصادَفَتُهُ مَعاً " [7] ، يقول ابن عاشور : " فالتقاء الماء : تجمع

---

[1] ــ سورة الطور ، آية ٧ .

[2] ــ التحرير والتنوير : ٢٧ /٤٠ .

[3] ــ سورة الواقعة ، آية ٢ .

[4] ــ مفردات ألفاظ القرآن :٨٨٠ .

[5] ــ حاشية الشهاب : ٩ / ٦٤، روح المعاني : ٢٧ / ١٨٤ .

[6] ــ سورة القمر ، آية ١٢.

[7] ــ مفردات ألفاظ القرآن : ٧٤٥ .

ماء الأمطار مع ماء عيون الأرض فالالتقاء مستعار للاجتماع ، شبه الماء النازل من السماء ، والماء الخارج من الأرض بطائفتين جاءت كل واحدة من مكان فالتقتا في مكان واحد كما يلتقي الجيشان " [1] .

فاستعارة الالتقاء للاجتماع مما شاع ، ولا نجدها عند غير ابن عاشور الذي يهتم بالرجوع لأصل الكلمة ، فقد شاع إطلاق الالتقاء على أشياء غير عاقلة حتى صار حقيقة فيه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾[2] .

جاء في أساس البلاغة : " تفكّه القومُ : أكلوا الفاكهة ، وفكّهتهم أنا . ومن المجاز : تفكّه بكذا إذا تلذّذ به... ورجل فَكِهٌ : طيّب النّفس ضحوك ،قال :

فَكِهٌ إلى جنبِ الخِوان إذا جَرتْ   نكباء تخلع ثابتَ الأطنابِ

وقال صخر بن عمرو بن الشريد :

فَكِهُ العَشِيِّ إذا تأوّبَ رَحلَهُ   ركبُ الشّتاءِ مُسامِحٌ بالميسرِ " [3]

فمن الواضح من هذا أنّ استعارة التفكه لطيب النفس استعارة تصريحية تبعية ، كانت مجازاً ثم أصبحت شائعة كالحقيقة ، وهي تدل على مسرة النفوس وانشراحها ، فالإنسان عندما يرى ضروب النعيم المختلفة ينشرح صدره .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4] فقوله : (أمددناهم) " (أي زودناهم) ، وأصل معنى المدّ الجرّ ثم شاع في الزيادة واختص الإمداد

---

[1] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ١٨٣.

[2] ـــ سورة الطور ، الآيتان : ١٧ ـــ ١٨ .

[3] ـــ أساس البلاغة : ٤٨٠ .

[4] ـــ سورة الطور ، آية ٢٢ .

بالمحبوب والمدّ بضده ، وكونه وقتاً بعد وقت من مفهوم المدّ نفسه " [1]. فاستعارة الإمداد ـــ وهو الجرّ ـــ للزيادة مما شاع بدليل قول الشهاب .

ومنه قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ ... ﴾ [2] فأصل السعة وصف حسي ، يُقال : " وسِع المكانُ وغيره سَعَةً وسِعةً واتّسع وتوسّع واستوسع ، قال النابغة :

تَسَع البلادُ إذا أتيتُك زائراً وإذا هجرتُك ضاق عني مَقعدي

ولي في هذا المكان متّسع ... ومن المجاز : .. وهو في عيش واسع ، (والله واسع) ووسعت رحمتُهُ كُلَّ شيء " [3] ، يقول ابن عاشور : " الواسع : الكثير المغفرة ، استُعيرت السعة لكثرة الشمول لأن المكان الواسع يُمكن أن يحتوي على العدد الكثير ممن يحلّ فيه . قال تعـــالى : ﴿... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ... ﴾ " [4] .

واستعمال الاتساع المكاني في السعة المعنوية وكثرة الشمول وارد وشائع حتى أصبح حقيقة لا يُلتفت إلى ما فيها من مجاز .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ۝ ﴾ [5] ، يقول ابن عاشور : " الأخذ : مستعار للانتقام ... وهذا الأخذ : هو إغراق فرعونَ ورجالِ دولته وجندِه الذين خرجوا لنصرته ... وانتصب " أخذَ عزيز مقتدر " على المفعولية المطلقة مُبيناً لنوع الأخذ بأفظع ما هو معروف للمخاطبين من أخذ الملوك والجبابرة . والعزيز : الذي لا يُغلب ، والمقتدر : الذي لا يعجز

---

[1] ـــ حاشية الشهاب : ٨ / ٦١١ ، روح المعاني : ٢٧ / ٥٠ .

[2] ـــ سورة النجم ، آية ٣٢ .

[3] ـــ أساس البلاغة : ٦٧٥ .

[4] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ١٢٣.

[5] ـــ سورة القمر، الآيتان : ٤١ ـــ ٤٢ .

وأريد بذلك أنه أخْذ لم يبق على العدوّ أيّ إبقاء بحيث قطع دابر فرعون وآله "[1] فاستعارة الأخذ للانتقام من الاستعارات التي شاعت وأصبحت كالحقيقة لا يكاد يلتفت كثير من الناس إلى الجانب المجازي فيها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ ﴾[2] .

الميزان " الآلة التي تُوزَن بها الأشياء "[3] ، واستعارة الميزان للعدل بجامع : الانضباط والاستقامة والاعتدال استعارة شائعة ، يقول ابن عاشور : " شاع إطلاق الميزان على العدل باستعارة لفظ الميزان للعدل على وجه تشبيه المعقول بالمحسوس "[4] .والاستعارة أبلغ " لأن الميزان يُصوّر لك التعديل حتى تعاينه ، وللعيان فضل على ما سواه "[5] ، " فهو أخذُ شبهٍ من شئ هو جسمٌ يُحَسّ ويُشَاهَد ، لمعنى يُعْلَم ويُعْقَل ولا يدخل في الحاسة ، وذلك أظهر وأبين من أن يُحتاج فيه إلى فضل بيان "[6] لكن هذا الجانب الاستعاري شاع حتى أصبح الناس ينظرون للاستعمال باعتباره حقيقة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ... ﴾[7] " البطائن جمع بطانة بكسر الباء وهي مشتقة من البطن ضد الظهر من كل شئ ، وهو هنا مجاز عن الأسفل يُقال للجهة السفلى : بطن ، وللجهة العليا ظهر ، فيقال : بطّنت ثوبي بآخر إذا جعل تحت ثوبه آخر ، فبطانة الثوب داخله وما لا يبدو منه ... فالبطانة : هي الثوب الذي

---

[1] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٠٩ .

[2] ـــ سورة الرحمن ، آية ٧ .

[3] ـــ المعجم الوسيط : ٢ / ١٠٣٠.

[4] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٣٧ .

[5] ـــ الصناعتين : ٢٧٧ .

[6] ـــ أسرار البلاغة : ٦٧ .

[7] ـــ سورة الرحمن، آية ٥٤ .

يجعل على الفراش . والظهارة : الثوب الذي يجعل فوق البطانة ليظهر لرؤية الداخل للبيت فتكون الظهارة أحسن من البطانة في الفراش الواحد " [1] .

فاستعارة البطائن للأسفل استعارة شائعة حتى أصبحت كالحقيقة ، لا نلتفت إليها ولا نجدها عند غير ابن عاشور من المفسرين ، وهي تُصوّر نعيم الآخرة تصويراً يُرغب ويُحبب فيه ، وهذا متصل بمقام السورة وهو تعدد نعم الله والتقرير بها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ ﴾[2] " قوله جَلّ ذِكْرُهُ (وأصحاب اليمين) { الواقعة ، ٢٧ } أي : أصحابُ السّعادات والمَيامِنِ ، وذلك على حَسَبِ تَعارُفِ الناس في العبارةِ عن المَيَامِنِ باليَمينِ ، وعن المَشائمِ بالشّمالِ . واستُعيرَ اليَمينُ للتَيمُّنِ والسعادة ، وعلى ذلك ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ ﴾ (الواقعة / ٩٠ ــ ٩١) ، وعلى هذا حُمِلَ :

إذا ما رَايةٌ رُفِعَتْ لمجْدٍ تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليَمينِ " [3] .

فاستعارة الميمنة لأهل الجنة لما فيهما من خير وبركة ، والمشأمة لأهل النار لما فيهما من غم وكرب وهما استعارتان شائعتان لا يلتفت إليهما .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾[4] " الصَّدْعُ : الشَّقُّ في الأجْسَامِ الصُلْبةِ كالزُّجاجِ والحديدِ ونَحوِهما ... استُعيرَ منه الصُّداعُ ، وهو شِبْهُ الانشقاقِ

---

[1] ــ التحرير والتنوير : ٢٧/ ٢٦٨ .

[2] ــ سورة الواقعة ، الآيات : ٨ ــ ٩ .

[3] ــ مفردات ألفاظ القرآن : ٨٩٣ .

[4] ــ سورة الواقعة ، آية ١٩.

في الرَأسِ مِنَ الوجعِ " [1] ، وهي استعارة تصريحية ، أصبحت شائعة لا يلتفت أحد إلى الجانب المجازي فيها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴾[2] " حقيقة السبق : وصول أحدٍ مكاناً قبل وصول أحدٍ آخر . وهو هنا مستعمل على سبيل الاستعارة ، وقد جمع المعنيين قول النابغة :

سَبَقْتَ الرّجالَ الباهِشِينَ [3] إلى العُلى   كَسَبْقِ الجَوَادِ اصْطَادَ قبـلَ الطّـوَارِدِ

فيجوز أن يكون " السابقون " مستعملاً في المبادرة والإسراع إلى الخير في الدين ،كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ... ﴾ في سورة براءة ويجوز أن يكون مستعملاً في المغالبة في تحصيل الخير كقوله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴾ في سورة المؤمنون " [4] .

هذه الاستعارة تنسجم مع الموضوع العام من السورة الذي يتحدث عن أهل النعيم وما يُقابلهم ، وتصوّر المتقدمين من أهل الإيمان بصورة مُرَغّبة مُحَبّبة لأن التعبير بالسبق له صدى وأثر في النفس الإنسانية إذ يدفعها دفعاً ويحثها حثاً للمراد الإقبال عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[5] .

---

[1] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٤٧٨ .

[2] ـــ سورة الواقعة، آية ١٠ .

[3] ـــ (الباهشين) : الطالبين برغبة ، من بهش إلى الشئ : أقبل عليه مسرورا . أساس البلاغة : ٥٥ .

[4] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٨٦ ـــ ٢٨٧ .

[5] ـــ سورة الحديد ، آية ١٦ .

" القَسْوَةُ : غِلَظُ القَلْبِ ، وأصلُه من : حَجَرٍ قاسٍ " [1] ، يجوز استعارة القسوة لعدم التأثر استعارة تصريحية ، ويجوز تشبيه القلوب بالحجارة ثم حذف المشبه به وجئ بشئ من لوازمه (القسوة) على سبيل الاستعارة المكنية وهذا أولى ، لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ... ﴿٧٤﴾ ﴾[2] ، وهي من الاستعارات الشائعة بدليل قول ابن عاشور : " شاع هذا المجاز حتى ساوى الحقيقة وصار غير محتاج إلى القرينة " [3] ومع شيوع هذه الاستعارة حتى لا يلتفت أحد إلى المجاز فيها فإن للفظ إيحاءً خاصاً مستمداً من ذلك الأصل ، ففيه تحذير وتخويف من أن يحدث للذين آمنوا مثل ما حدث لأهل الكتاب عندما أعرضوا عن كتابهم وما انتهوا إليه ، ومرتبط بمقام السورة وهو تعميق الإيمان في القلب وما ينتج عن ذلك من إيمان وخشوع .

ومما سبق يتضح كثرة الاستعارات التي شاعت وصارت حقائق أو كالحقائق في جزء الذّاريات ، وكان من علامات هذا التحول أننا لم نلتفت إلى الجانب المجازي إلا بالتقليب في كتب اللغة ، ويبدو أن هذا الجانب المجازي كان يتوارى شيئاً فشيئاً مع كثرة الاستعمال ، ولذلك لم ينبه كثير من المفسرين إليه إلا قلة منهم كابن عاشور الذي كان معنياً بالبحث عن جذور معاني الكلمات والمقارنة بينها وبين المعنى الذي استعمل له اللفظ .

والمهم أنّه على الرغم من شيوع الاستعمال حتى تصير الكلمة حقيقية فإنه يبقى للفظ إيحاؤه الخاص الذي يتجاوب مع دلالات السياق والغرض المقصود كما سبق .

---

[1] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٦٧١ ، أساس البلاغة : ٥٠٧ .

[2] ـــ جزء من آية ٧٤ من سورة البقرة .

[3] ـــ التحرير والتنوير : ١ / ٥٦٣ .

٢ ــ جواز إرادة المعنى الحقيقي والمجازي بلا تعارض :

نجد في سور هذا الجزء جواز إرادة المعنى الحقيقي والمجازي بلا تعارض بينهما ، بل إنّ أحدهما مترتب على الآخر ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾[١] .

فقوله : (أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ)يحتمل عدة معان " من المراء وهو الملاحاة والمجادلة ، واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يَمْري ما عند صاحبه . وقرئ أفتمرونه أفتغلبونه في المراء ، من ماريته فمريته ، ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما تقول غلبته على كذا . وقيل أفتمرونه أفتجدونه وأنشدوا

لئن هجوت أخا صدق ومكرمة　　　لقد مريت أخا ما كان يمريكا

وقالوا : يُقال مريته حقه إذا جحدته ، وتعديته بعلى لا تصح إلا على مذهب التضمين "[٢].

فـ (أفتمارونه) يجوز فيه المعنى الحقيقي من ماريته فمريته بمعنى غلبته أو جحدته لأن الكفار كانوا يُجادلون جحوداً وسعياً للغلبة ولا تعارض بين هذا وبين المعنى المجازي الذي يشبه فيه الجدال بينهما بمرى الناقة لأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه أي يسعى إلى أن يأخذ من كلامه ما يكون حجة له[٣] ، يقول الشهاب " لأن كلا يطلب الوقوف على ما عند الآخر ليلزمه الحجة فكأنّه استخرج درّه "[٤] ، ولا تعارض لتعدد الوجهات والتوجيهات ، وبهذا نجد اللفظ يدل بالمعنى الحقيقي على معنى ويدل بالمعنى المجازي على معنى آخر دون تعارض بينهما بل بترتب وتوالٍ . وهذا من الإعجاز القرآني

---

[١] ــ سورة النجم ، آية ١٢ .

[٢] ــ انظر على سبيل المثال : الكشاف : ٤ / ٢٩ ، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التتريل وأسرار التأويل ، أبو سعيد ناصر الدين البيضاوي ، حققه وعلق عليه : محمد صبحي بن حسن حلاق ومحمود أحمد الأطرش ، دار الرشيد ، دمشق ــ بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هــ ــ ٢٠٠٠م ، ٣ / ٣٣٧ ، روح المعاني : ٢٧ / ٧١ .

[٣] ــ ويؤيد هذا مناقشة الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم وسؤالهم عن وصف المسجد الأقصى ووصف راحلة لهم كانت في الطريق وغير ذلك من الأسئلة التي كانوا يسعون منها إلى أن تكون لهم الغلبة .

[٤] ــ حاشية الشهاب : ٩ / ٨ ، روح المعاني : ٢٧ / ٧١ .

لأنّه بلفظ واحد أدى معاني كثيرة بعضها بالحقيقة وبعضها بالمجاز وصـــور موقفـــاً كـــاملاً للمشركين المكذبين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾[1] .

جاء في أساس البلاغة : " يَسَر الأمرُ ويَسُرَوتَيَسّر واستَيْسَر ويسّره الله تعالى وياسَرَه : ساهله . وأمر يسير : غير عسير (إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا) . ومن المجاز : ... يسّره لكذا : هيّأه، قال أبو دؤاد : وقد يَسّرُوا مِنْهُمُ فَارِسَاً   حَديدَ السِّنانِ كميشَ الطَّلَبْ "[2] .

والمعنى " سهلنا القرآن للحفظ لما اشتمل عليه من حُسن النظم وسلاســة اللفــظ وشرف المعاني وصحتها .. ، وجوز تفسير (يسرنا) هيأنا من قولهم : يسر ناقته للسفر إذا رحلها ، ويسر فرسه للغزو إذا سرجه وألجمه قال الشاعر :

وقمت إليه باللجام (ميسرا)   هنالك يجزيني الذي كنت أصنع "[3]

وهذا التفسير يوضح ما قاله ابن عاشور وهو " " يسرنا القرآن للذكر " استعارة مكنية ولفظ " يسرنا" تخييل . ويؤول المعنى إلى :يسرنا القرآن للمتذكرين "[4]، بمعنى نزول القرآن بطريقة تُهيّئهُ للسهولة من تقسيمه إلى سور والسور إلى آيات ، وطريقة صياغة الآيات وطرق عرض المعنى .

فـــ (يسرنا) تحتمل المعنى الحقيقي بمعنى سهلنا وتحتمل المعنى المجازي بمعنى هيأنـــا ، فهي تجمع بين الحقيقة والمجاز . وبالنظر للجانب المجازي نجد فيه دلالة على أن إعداد القرآن ليكون ميسراً سهلاً في التلقي والفهم كان بطرق متعددة في الأداء والتقسيم والترتيب .

---

[1] ـــ سورة القمر ، آية ١٧ .

[2] ـــ أساس البلاغة : ٧١٢ ـــ ٧١٣ .

[3] ـــ روح المعاني : ٢٧ / ١١٨ ـــ ١١٩ .

[4] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ١٩٠ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] فقوله : (يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) يتجه الزمخشري إلى كونه حقيقة بتضمين الفعل (يَسْتَمِعُونَ) معنى فعل آخر وهو (يصعدون) حيث يقول : " (أم لهم سلم) منصوب إلى السماء يستمعون صاعدين فيه إلى كلام الملائكة وما يُوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون "[2] ، في حين يتجه ابن عطية وأبو حيان إلى كونه استعارة في الحرف وذلك باستعارة الظرفية (فيه) للاستعلاء " عليه أو منه ، إذ حروف الجر قد يسد بعضها مسد بعض "[3] ، ووراء هذا تهكم بهم وتصوير تصنتهم كأنما دخلوا في السلم .

فعلى تفسير صاحب الكشاف تكون (فيه) حقيقة ، وعلى تفسير ابن عطية تكون استعارة في الحرف ولا تعارض بينهما وإنما لكل منهما ميزة ، الأول يؤدي معنيين لا معنى واحداً : الصعود ثم الاستماع ، والثاني يفيد معنى التهكم بهم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[4] .

فـ (تَفَكَّهُونَ) يجوز حمله على الحقيقة ويجوز حمله على المجاز ، يقول ابن عاشور : " معنى الآية يجوز أن يكون جارياً على ظاهر مادة فعل " تَفَكَّهُونَ " ويكون ذلك تهكماً بهم حملاً لهم على معتاد أخلاقهم من الهزْل بآيات الله ، وقرينة التهكم ما بعده من قوله

---

[1] ـــ سورة الطور ، آية ٣٨ .

[2] ـــ انظر : الكشاف : ٤ / ٢٦ ، تفسير البيضاوي: ٣ / ٣٣٣ ، إرشاد العقل السليم : ٨ / ١٥١ .

[3] ـــ المحرر الوجيز : ١٥ / ٢٤٨، والبحر المحيط : ٨ / ١٤٩ .

[4] ـــ سورة الواقعة ، الآيات : ٦٣ ـــ ٦٥ .

عنهم " إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ " ويجوز أن يكون محمل الآية على جعل " تَفَكَّهُونَ " بمعنى تندمون وتحزنون " [1] ، فالتهكم واقع سواء على الحقيقة أم المجاز .

وهذه " صورة من صور الحياة التي تُنْشِئها القدرة وترعاها فماذا في النشأة الأخرى من غرابة . وهذه هي النشأة الأولى " [2] ، والاستعارة مرتبطة بموضوع السورة وهو تقريب أمر البعث والاستدلال عليه أي " استدلال بإفنائه ما أوجده على انفراده بالتصرف إيجاداً وإعداماً ، تكملة لدليل إمكان البعث " [3] .

٣ ـ أهم أنواع الصميم الخالص من الاستعارة [4] :

وهو استعارة الحسّي لتصوير المعنوي ، وقد كان عبد القاهر شديد الإعجاب بهذا النوع وأطلق عليه من أجل ذلك " الصميم الخالص من الاستعارة " ويقصد بهذا أنّه يُحقق الغاية من الاستعارة بأعلى مستوى ، وحدّه بقوله : " أن يكون الشَبَهُ مأخوذاً من الصُّور العقلية " [5] ، بل قال عنه " واعلم أن هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عِندها الاستعارة غايةَ شرفها ، ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفنُّنها وتصرُّفها ، وههنا تخلُص لطيفةً روحانية ، فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافية ، والعقول النافذة ، والطباع السليمة ، والنفوس المستعدَّة لأن تَعِيَ الحكمة ، وتعرف فَصْلَ الخطاب " [6] .

---

[1] ـ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٢٣ .

[2] ـ في ظلال القرآن : ٢٧ / ١٤٢ .

[3] ـ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٢١ .

[4] ـ وهناك أنواع أخرى للصميم الخالص من الاستعارة يقول الإمام عبد القاهر : " ولها ههنا أساليبُ كثيرة ، ومسالك دقيقة مختلفةٌ والقول الذي يجري مَجْرى القانون والقسمة يغمضُ فيها ، إلا أن ما يجب أن تعلم في معنى التقسيم لها أنها على أصول : أحدها ... والثاني : أن يؤخذ الشبه من الأشياء المحسوسة لمثلها إلا أن الشبه مع ذلك عقليٌّ . والأصل الثالث : أن يؤخذ الشّبه من المعقول للمعقول " أسرار البلاغة : ٦٦ ، واستشهد بما هو موجود (النوع الأول) .

[5] ـ أسرار البلاغة : ٦٥ .

[6] ـ المصدر نفسه : ٦٦ .

وقد جاء هذا النوع في سور الذّاريات بكثرة ، ويبدو أنّه النوع الغالب في سائر القرآن ، ويبدو كذلك أنّ عبد القاهر كان يُسجل إعجابه به من خلال رؤيته لاستعارات القرآن ، لأن القرآن معجز وفي أعلى درجة من البلاغة .

قال تعالى : ﴿ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1] .

الذوق : " وُجُودُ الطعْم بِالْفَمِ ، وأصْلُهُ فيما يَقِلُّ تَناوُلُهُ دُونَ ما يَكْثُرُ ، فإنّ ما يَكْثُرُ منه يُقالُ له : الأكلُ ، واختِيرَ في القرآن لفظُ الذّوقِ في العذاب " [2] ، وعبّر عن الأمر المعنوي وهو ألم العذاب بأمر حسي مدرك وهو الذّوق . " فاستعار الذّوق للإحساس القوي " [3] استعارة تصريحية حذف المشبه واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ويبدو أن المستعار له مزيج من الإحساس الظاهري القوي بعذاب النار التي تشوي الجلود ، وإحساس داخلي بالألم الناتج عن ذلك العذاب .

وفي الاستعارة إشارة إلى أنّ الإحساس بالعذاب يوم القيامة يتضاعف وليس إحساساً عادياً ، وفي هذا توبيخ لتكذيبهم بالبعث وتهديد ووعيد بيوم الدين وما فيه من حساب وعقاب .

واختِير (الذّوق) دون غيره من الحواس " لأن اللسان أشد الأعضاء إحساساً " [4] ، والاستعارة أبلغ " لأن إحساس الذائق أقوى لأنه طالب لإدراك ما يذوقه ، ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستلذ إحساس الآلام " [5] ، وقوله (فِتْنَتَكُمْ) [6] التعبير بالفتنة يدل على أنه أشد الابتلاء .

---

[1] ــ سورة الذّاريات، آية ١٤ .

[2] ــ مفردات ألفاظ القرآن : ٣٣٢ .

[3] ــ التحرير والتنوير : ٣٠ / ٣٤٦ .

[4] ــ المرجع نفسه .

[5] ــ النكت : ٩٣ ــ ٩٤ .

[6] ــ ستأتي في موضعها .

واستعارة الذوق للإحساس الشديد بالعذاب وقع في سورة القمر في قصة لوط فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ ﴾[2].

وقد تكررت الاستعارة (ذُوقُوا) في قصة لوط دون غيرها ، لأنّهم سعوا بالفساد في الأرض ، وشذوا عن الفطرة وأحدثوا ما لم يُحدثه غيرهم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾[3] .

شبه الإحساس بعذاب النار وآلامها عندما تمسهم مسّاً بالذوق وهو إدراك طعم المطعوم أو شرب المشروب ، بجامع : عمق الإحساس وقوته ، حذف المشبه واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية .

والاستعارة تُصوّر قوة الإحساس بالعذاب مما يـدل علـى غـضب الله علـيهم ، واستحضار الصورة المستقبلية الغيبية كأنها واقعة لزجر المكذبين من هذه الأمة وتحذيرهم .

ومما يلفت النظر أنّ (ذوقوا) وقع في الذّاريات والقمر دون غيرهما من السور وذلك لأنهما من السور المكية التي تحوي قصص هلاك المكذبين للتهديد والتحذير .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[4] .

استعارة الإبصار للتدبر والتفكر استعارة تصريحية تبعية ، ووقعت بصيغة المضارع الدال على تجدد التفكر والتدبر في الأنفس لكثرة ما فيها من أدلة ، وكذلك في أسلوب الاســـــتفهام

---

[1] ــــ سورة القمر ، آية ٣٧ .

[2] ــــ سورة القمر ، الآيتان : ٣٨ ــــ ٣٩ .

[3] ــــ سورة القمر ، الآيتان : ٤٧ ــــ ٤٨ .

[4] ــــ سورة الذّاريات ، آية ٢١ .

الإنكاري [1] الذي يتضمن تحذيراً وتوبيخاً وتهديداً .

وعبّر عن الأمر المعنوي (التدبر والتفكر) بأمر حسّي وهو (الإبصار) وذلك أوقع في النفس وأشد تهديداً وتوبيخاً لمن لم يتدبر قدرة الله في الإحياء بعد الموت .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝ ﴾ [2].

" خَرْصُ النخل والكَرْم إذا حَزَرت التمر لأن الحَزْر إنما هو تقدير بظَـنٍّ لا إحاطة والاسم الخِرْصُ بالكسر ثم قيل للكذب خَرْصٌ لما يدخله من الظنون الكاذبة " [3] ، والمعنى : " لُعِنَ المُتكَهّنونَ الذين يتخرّصُون الكذب والباطل فيتظنَّنُونَه " [4] .

فقد استعار خرص التمر في إتقان ومهارة لممارسة الكذب بجامع التقدير والإتقان والتسوية استعارة تصريحية تبعية واشتق من الخرص صيغة مبالغة (خرّاص) للدلالة على المبالغة في هذه الصفة .

والاستعارة تدل على أنّ الكذب صفة متأصلة فيهم يُمارسونها بكيفية وإتقان كممارسة الخراص وظيفته بإتقان بحيث لا يستطيع غيره أن يقوم مقامه ويسد محله .

وقوله : (قُتِلَ) دعاء عليهم من الله ، وفي هذا تهديد يدور في إطار ما يغلب على السورة من تهديد ووعيد بيوم الدين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝ ﴾ [5] .

" الخَوْضُ : هو الشُّرُوعُ في الماء وَ المُرُورُ فيه ، ويُسْتَعَارُ في الأمورِ ، وأَكْثَرُ مَا وَرَد في القرآن وَرَد فيما يُذَمُّ الشروعُ فيه ، نحوُ قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا

---

[1] ـــ التحرير و التنوير : ٢٦ / ٣٥٣ .

[2] ـــ سورة الذّاريات ، آية ١٠ .

[3] ـــ لسان العرب : ٨ / ٢٨٦ ـــ ٢٨٧ .

[4] ـــ تفسير الطبري : ٢١ / ٤٩٢ .

[5] ـــ سورة الطور ، آية ١٢ .

﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ { التوبة ــ ٦٥} وقوله ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓا۟ ... ﴿٦٩﴾﴾{ التوبة ــ ٦٩ } " [١] .

فقد استعار الخوض في الماء بدون هدف أو تفكير للاندفاع في الباطل استعارة تصريحية ، تُصَوّر حمق هؤلاء واندفاعهم في الباطل دون روية لأنهم لو فكروا ربما عدلوا عن ذلك ، فأعمالهم " لعب يخوضون فيه كما يخوض اللاعب في الماء ، غير قاصد إلى شاطئ أو هدف ، سوى الخوض واللعب " [٢] .

كما تُصَوّر حال المكذبين في الدنيا ، وأنّ " أعمالهم وأقوالهم أعمال الخائض في ماء ، فهو لا يدري أين يضع رجله . ولما كان ذلك قد يكون من دهشة بهم أو غم ، نفى ذلك بقوله : (يلعبون) فاجتمع عليهم أمران موجبان للباطل : الخوض واللعب ، فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول ولا فعل في موضعه ، فلا يؤسس على بيان أو حجة " [٣] ، وهذا مرتبط بمقام السورة وهو التهديد بتحقيق وقوع العذاب .

وأُخذ الشبه من شئ محسوس مشاهد لمعنى معقول لا يقع تحت الحاسة ، وذلك أبين للمعنى وأوضح له بواسطة الصورة التي تُتابعها عين الخيال والتي تترك أثرها في النفس من النفور والازدراء لهؤلاء الذين يخوضون بلا عقل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾[٤] .

جاء في أساس البلاغة : " ضلّ عن الطريق وعن القصد يضِلّ و يَضَلّ وضَلّ الطريق ... ومن المجاز : ضَلّ في الدين " [٥] ، شبه صواب أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله

[١] ــ مفردات ألفاظ القرآن : ٣٠٢ ، لسان العرب : ٩ / ٦ .
[٢] ــ في ظلال القرآن : ٢٧ / ٣٧ .
[٣] ــ نظم الدرر : ١٩ / ١٠ .
[٤] ــ سورة النجم ، آية ٢ .
[٥] ــ أساس البلاغة : ٣٧٨ .

وعدم خروجه عن الحق والدين القويم بعدم الضلال وهو الخروج عن الطريق المستقيم بجامع الاستقامة ونفى ما عداها ، ولا شك أن استعارة أمر محسوس لمعنى معقول يؤدي إلى تصويره وتجسيده وإبانته وإقناع المخاطب به حتى كأنه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسير على طريق مستقيم لا يلتوي فيه ولا يحيد ولا يضل، ومن كان هذا شأنه فإنه لا يكذب ولا يُراوغ في كلامه وإنما ينقل ما يُوحى إليه ، فالاستعارة تُصوّر صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعدم خروجه عن الحق وهذا مرتبط بمقام السورة وهو بيان صدق الوحي .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾[1] .

استعار الأمر المحسوس وهو "المِرَّة" من " أمْرَرْتُ الْحَبْلَ : إذا فَتَلْتَهُ " [2] للأمر المعقول وهو عظم الخلق والقوة استعارة تصريحية ، وهي تعكس مصداقية ما يتحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم من رحلة المعراج إذ يصف القرآن رفيقه ومعلمه في هذه الرحلة وصفاً يدل على أنه ملك من ملائكة الله وأنه أمين الوحي ، فالاستعارة إذن تدل على أمرين :

١ ـــ عظمة الخلق المستمدة من عظمة الخالق .

٢ ـــ الدلالة على ما يترتب على هذه الصورة من التأكيد على قدرة التصرف والنزول وصدق الوحي .

ومنه قوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾[3] .

الاستعارة تُصوّر قسوة الإحساس بذلك اليوم بما فيه من مشاق وآلام وأهوال عن طريق التشبيه بالشئ المُرّ بجامع : الكراهة ، وقد حذف المشبه به وأثبت صفته " المرارة "

---

[1] ـــ سورة النجم ، آية ٦ .

[2] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٧٦٣ ، أساس البلاغة : ٥٨٩ .

[3] ـــ سورة القمر ، آية ٤٦ .

للساعة على سبيل الاستعارة المكنية ، وكل ما يقع على الحس فهو أقوى أثراً مما لا يقع عليه الحس .

وجاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ لأنه " لما وقع هذا في الدنيا ، وكان في يوم بدر ، وكان ذلك من أعلام النبوة ، وكان ربما ظن ظان أن ذلك هو النهاية ، كان كأنه قيل ليس ذلك الموعد الأعظم : ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ " [1] ، والاستعارة تبيّن أن المكذبين مهزومون في الدنيا ، وفي الآخرة مُعذبون ، وأنّ عذابهم في الآخرة أدهى وأمر مما لا قوه من آلام الهزيمة في الدنيا .

ووقعت الاستعارة بصيغة التفضيل (أَمَرُّ) مبالغة وتأكيداً في قسوة ذلك اليوم وشدته، وحذف المتعلق في (أمر) للعموم أي أمر من كل شئ وفي ذلك تهويل وتهديد ينسجم مع مقام السورة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾[2] .

" الثِّقل والخِفّة متقابلان ، فكلّ ما يتَرَجّحُ على ما يُوزن به أو يُقَدّر به يُقال : هو ثقيل ، وأصله في الأجسام ثم يُقال في المعاني ، نحو : أثقله الغُرم والوِزر . قال الله تعالى : ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ { الطور ــ ٤٠ } " [3] . شبه العسر المعنوي عند دفع الأجر المفترض بالثقل المادي بسبب حمل شئ ثقيل بجامع : عدم القدرة على تحقيق المطلوب في الكل استعارة تصريحية ، وهو من استعارة المحسوس للمعقول بحيث يُجسده ويجعل له صورة ، ولا شك أن هذا يدفع إلى الإجابة بالنفي ، فلا الرسول يُطالبهم ولا هم مثقلون به ، وذلك يؤكد إخلاص النبي صلى الله عليه وسلم، وفي المقابل تعنت

---

[1] ــ نظم الدرر : ١٩ / ١٣١ .

[2] ــ سورة الطور ، آية ٤٠ .

[3] ــ مفردات ألفاظ القرآن : ١٧٣ ــ ١٧٤ ، أساس البلاغة : ٧٤ .

المشركين دون داعٍ لأنّهم يُعْرِضُون دون مُبرر، فكأنما يُطالبون بشئ يُثقلــهم ، فهــي أي الاستعارة هنا تُبين عُنصراً من العناصر الدالة على تعنتهم في تكذيبــهم وتُؤكــد ذلــك ، وتنسجم مع مقام السورة وهو التهديد بتحقيق وقوع العذاب للمكذبين .

وإنّ مما يزيد النفس أثراً بالمعاني التي سبقت أنها تجمع بين التصوير والبيان في إيجاز ، وهذا يعد بلاغة وفصاحة وروعة وجمالاً وهو في القرآن الكريم أكثر من أن يحصى .

٤ ــ وقوع الاستعارة في سياق الاستفهام الإنكاري :

وهذه من الظواهر اللافتة في استعارات سور هذا الجزء ، وذلك لغلبة خطاب المعارضين بالأسلوب المحذر وبواسطة الاستفهام الإنكاري ، والاستعارة عندما تأتي في سياق هذا الاستفهام فإنها تُصوّر المعنى المقصود بالإنكار وتُبين سبب إنكاره وتقنع المتلقي بأنه جدير بالتوبيخ أو التكذيب كما في قوله تعالى : ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[١] .

فــ" الخَزْنُ حِفْظُ الشئ في الخِزَانَة ، ثم يُعَبّرُ به عن كُلّ حِفــظٍ كَحِفْــظِ الــسّر ونحوه "[٢]استعار الخزائن وهي أصلاً لمكان حفظ الأشياء الثمينة لما في علم الله وإرادته مــن إعطاء واصطفاء [٣] .

ووقعت الاستعارة في سياق الاستفهام الإنكاري الذي يتضمن تحذيراً وتهديداً ، وهي تدور في إطار الرد على المكذبين بالحجة الواضحة والــصورة المبينــة إذ تُــصوّرهم وهــم يعترضون على التنــزيل ويدعون أنّه من تَقَوّل محمد صلى الله عليه وسلم ، وكأنهم خلقــوا

[١] ــ سورة الطور ، آية ٣٧ .

[٢] ــ مفردات ألفاظ القرآن : ٢٨٠ .

[٣] ــ انظر على سبيل المثال : الكشاف : ٤ / ٢٦ ، البحر المحيط : ٨ / ١٤٩ ، إرشاد العقل السليم : ٨ / ١٥١ .

من غير خالق ، أو كأنّهم خلقوا السماوات والأرض ، أو كأنّ عندهم خزائن رحمة ربك فيُقسِّمون كما يُريدون فهذه الاستعارة تُبرز سبب الإنكار وذلك في سياق التهكم بهم .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] .

استعار الإلقاء لإنزال الذكر ، وعبّر عنه بالإلقاء " إشارة إلى ما كانوا ينكرونه من طريق المبالغة وذلك لأن الإلقاء إنزال بسرعة والنبي كان يقول جاءني الوحي مع الملك في لحظة يسيرة فكأنهم قالوا الملك جسم والسماء بعيدة فكيف ينزل في لحظة فقالوا أألقي وما قالوا أأنزل "[2] ، أضف إلى هذا أنّ اختيار الإلقاء دون الإنزال لتصوير مشاعر الكراهية والحقد الممزوج بالتهكم لأن الإلقاء طرح فيه عنف ، فـ (أؤُلْقِيَ) تعكس ما في نفوسهم من حسد لاختصاصه (من بيننا) ولاشك أن المعنى المفهوم من الاستعارة ينسجم مع ذلك الإنكار المفهوم من الاستفهام .

وهذه الاستعارة تُبيّن أنّ منطق الأقوام واحد وأنّ قوم صالح كذّبوا كما كذب الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فمنطِقهم في الرفض والدافع إليه هو نفس منطق الكفار من هذه الأمة ونفس الدافع للتكذيب ، ووقوع الاستعارة في سياق الاستفهام الإنكاري الذي يتضمن تحذيراً وتهديداً ينسجم مع مقام السورة وهو تهديد و تحذير المكذبين بيوم الدين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[3] .

---

[1] ـــ سورة القمر ، الآيات : ٢٣ ـــ ٢٥ .

[2] ـــ التفسير الكبير : ٢٩ / ٥١ .

[3] ـــ سورة الواقعة ، آية ٨١ .

" والإدْهَانُ في الأصْلِ مِثْلُ التّدْهين ، لَكِنْ جُعِلَ عِبَارةً عن المُدَارَاةِ والمُلاَيِنَةِ ، وتَـرْكِ الجِدّ ، كما جُعِلَ التّقْرِيدُ وَهُو نَزْعُ القُرادِ عـنِ الـبَعِيرِ عِبَـارةً عـن ذلـك ، قـال : { أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ } (الواقعة ـــ ٨١) ، وَدَاهَنْتُ فُلاَنَاً مُدَاهَنَة قـال : (وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) { القلم ـــ ٩ }" [١] .والمعنى : " أفبهذا القرآن الذي أنبأتكُم خبرَهُ وقصصتُ عليكم أمرَهُ أيها الناس أنتم تُلينونَ القولَ للمكذّبين به ؛ ممالأة منكم لهم على التكذيب به و الكفر " [٢] ، يقول الزمخشري : " (أَنتُم مُّدْهِنُونَ) أي متهاونون بـه كمن يدهن في الأمر : أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به " [٣] ، ويُفهم من كلامـه أنّ (مُّدْهِنُونَ) استعارة تصريحية حيث استعار الملاينة في الكلام للتهاون وعدم المبالاة .

ويكشف الشهاب عن أصل استخدام الكلمة ، وأنّها مرّت بمراحل عدة حتى صارت إلى ما هي عليه ، فيقول : " (أَنتُم مُّدْهِنُونَ) متهاونون به كمن يدهن في الأمـر أي يلـين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به ، وأصل الإدهان كما قيل : جعل الأديم ونحوه مدهوناً بشئ من الدهن ولما كان ذلك مليناً ليناً محسوساً يُراد به اللين المعنوي على أنه تجوز به مطلق اللين أو استعير له ، ولذا سميت المداراة مداهنة وهذا مجاز معروف ولشهرته صار حقيقة عرفية ، ولذا تجوز به عن التهاون أيضاً لأن المتهاون بالأمر لا يتصلب فيه " [٤] ، ونلاحظ انتقالتين في تاريخ الكلمة ، الأولى : من التليين الحسّي إلى المعنوي ، والثانية : من المـداراة و التلـيين المعنوي في الكلام للتهاون وعدم المبالاة .

وجاءت الاستعارة في سياق الاستفهام الإنكاري ، وهي تُعطي مبرراً لهذا الإنكار عليهم مع التحذير والتهديد ، وهذا غرض بارز في سورة الواقعة .

---

[١] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٣٢٠ / ٣٢١ .

[٢] ـــ تفسير الطبري : ٢٢ / ٣٦٧ .

[٣] ـــ الكشاف : ٤ / ٥٩ .

[٤] ـــ حاشية الشهاب : ٩ / ٨٢ ، روح المعاني : ٢٧ / ٢٢١ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[1] .

في المفردات : " السّامِدُ : اللاهِي الرّافِعُ رَأسهُ ، مِنْ قَوْلِهِم : سَمَدَ البَعِيرُ في سَيْرِه"[2]، وفي أساس البلاغة : " سَمَد سُمُوداً إذا قام رافعاً رأسه ناصباً صدره كما يسمدُ الفحل إذا هاج ، ومنه قيل للغافل السّاهي : سامد ، (وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ) " [3] ، فـــ " مُثل به حال المعرض عن النصح المعجب بما هو فيه بحال البعير في نشاطه ، وقيل السمود : الغناء بلغة حِمْير والمعنى : فرِحون بأنفسكم تتغنون بالأغاني لقلة الاكتراث بما تسمعون من القرآن " [4].

ووقعت الاستعارة في داخل الأسلوب الإنشائي الطلبي (الاستفهام) وأداته (الهمزة) المحذوفة والتقدير : وأفأنتم سامدون ؟ وقد خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي يُفهم من السياق وهو التوبيخ والإنكار ، وحذف الأداة مما يُقرّب الأسلوب الإنشائي إلى الأسلوب الخبري ، لأنّه محال في ذات الله أن يطلب العلم بشئ .

والاستعارة تُصوّر إعراضهم عن الذكر ، وتشبه حالهم بالبعير الذي لا يعقل في سيره تحقيراً لهم وتقليلاً من شأنهم وهي تُعطي مبررا للإنكار عليهم .

٥ ـــ قد تتجاور استعارتان لتقديم الغرض : ـــ

كقولـــه تعـــالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾[5] .

[1] ـــ سورة النجم ، الآيات : ٥٩ ـــ ٦١ .

[2] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٤٢٤ .

[3] ـــ أساس البلاغة : ٣٠٧ .

[4] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ١٦٠ .

[5] ـــ سورة الحديد ، آية ٩ .

المراد :" إخراج المؤمنين من الكفر إلى الإيمان ، ومن الغي إلى الرشاد ، ومن عمياء الجهل إلى بصائر العلم ... وذلك من أحسن التشبيهات لأن الكفر كالظلمة التي يتسكع فيها الخابط ويضل القاصد ، والإيمان كالنور الذي يؤمه الحائر ويهتدي به الجائر ، لأن عاقبة الإيمان مضيئة بالإيمان والثواب ، وعاقبة الكفر مظلمة بالجحيم والعذاب " [1] .

استعارتان تصريحيتان تجاورتا على سبيل الإنعام (للاستدلال) على القدرة التي وردت في أول السورة ، وللدلالة على استحقاق الله للتسبيح والتعظيم الذي ورد أيضاً في أول السورة ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ ﴾ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٥ ﴾[2] .

قوله : (مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ) استعارة تهكمية بتشبيه مكان النار بالمأوى وهو " اسمٌ للمكان الذي يأوي إليه " [3] الإنسان ويستريح فيه ويطيل المكث حذف المشبه واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ووراء الاستعارة التهكمية كناية عن صفة " الاستمرار والخلود " [4] ، وتجاورها استعارة أخرى في قوله : (هي مولاكم) " قيل هي أولى بكم ، وأنشد قول لبيد:

فَغَدَتْ كلا الفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا

وحقيقة مولاكم محرامكم ومقمنكم : أي مكانكم الذي يُقال فيه هو أولى بكم ... ويجوز أن يُراد هي ناصركم : أي لا ناصر لكم غيرها ، والمراد نفى الناصر على البتات ، ونحوه

---

[1] ـــ تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي ، حققه وقدم له وصنع فهارسه : محمد عبد الغني حسن ، دار إحياء الكتب العربية " عيسى البابي الحلبي وشركاه " ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٧٤هـ ـــ ١٩٥٥م ، ص ١٢١.

[2] ـــ سورة الحديد ، آية ١٥ .

[3] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ١٠٤ .

[4] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٨٩ .

قولهم أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ، ومنه قوله تعالى ﴿... يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ...﴾ وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار "[1] .

وهذه الوجوه محتملة وإن كان الوجه المقدم فيها والأظهر هو التهكم على سبيل الاستعارة ، بتشبيه وسيلة الهلاك والإحراق والعذاب بوسيلة النجاة والنصر ، فالأرجح أنها استعارة تهكمية فيها استهزاء وتوبيخ لهم ، فهو تهكم بعد تهكم مرتبط بموضوع غالب في السورة وهو الحديث عن المنافقين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2] ، فقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ " استعارة مكنية إذ شبه الموت بمقسوم ورمز إلى المشبه به بكلمة " بينكم " الشائع استعمالها في القسمة ، قال تعالى : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ﴾ "[3] .

ويكشف ابن عاشور عن الغاية من الاستعارة وصلتها بالسياق ، فيقول : " استدلال بإماتة الأحياء على أنها مقدورة لله تعالى ضرورة أنهم موقنون بها ومشاهدونها ووادُّون دفعها أو تأخيرها ، فإن الذي قدر على خلق الموت بعد الحياة قادر على الإحياء بعد الموت إذ القدرة على حصول شئ تقتضي القدرة على ضده فلا جرم أن القادر على خلق حيّ مما ليس فيه حياة وعلى إماتته بعد الحياة قدير على التصرف في حالتي إحيائه وإماتته ، وما الإحياء بعد الإماتة إلا حالة من تينك الحقيقتين ، فوضح دليل إمكان البعث ، وهذا مثل قوله تعالى " وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ""[4] .

---

[1] ـــ الكشاف : ٤ / ٦٤ .

[2] ـــ سورة الواقعة ، آية ٦٠ .

[3] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣١٥ .

[4] ـــ المرجع السابق .

وأما قوله تعالى : ﴿ ...وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ فيجوز أن يكون استعارة تمثيليـــة أو تصريحية ، فإذا كان المعنى " لا يسبقُنا أحدٌ فيهربَ من الموتِ أو يُغيّر وقْته أو لا يغلبُنا أحدٌ من سبقته على كذا إذا غلبتهُ عليه " [1] فـــ " السبق هنا تمثيل لحال من سلم من المـــوت أو تأخر أجله عن وقته المعين له بحال من طلبه طالب فلم يلحقه وسبقه أو السبق مجاز عن الغلبة استعارة تصريحية " [2] .

والاستعارة التصريحية أقرب إلى المعنى المقصود وأظهر ، وفيها تصريح وتعريض " فالصريح منه التذكير بتمام قدرة الله تعالى وأنه لا يغلبه غالب ولا تضيق قدرته عن شئ ، وأنه يُبدلهم خلقاً آخر في البعث مماثلاً لخلقهم في الدنيا ، ويفيد تعريضاً بالتهديد باستئصالهم وتعويضهم بأمة أخرى كقوله تعالى "﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾" [3] " وهذه " نتيجة لما سبق من الاستدلال على أن الله قادر على الإحياء بعد الموت " [4] ، فالاستعارتان تجاورتا لتأكيد إمكان البعث .

٦ ـــ ما يجوز فيه الاستعارة المكنية والتصريحية مع ترجيح الأولى بالسياق : ـــ

كقوله تعالى :﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝ ﴾[5] . العقيم من العقم، و" أصْلُ العُقْمِ : اليُبْسُ المانِعُ من قَبُول الأثر ... وَرِيحٌ عَقِيمٌ : يَصِحُّ أن يكون بمَعْنَى

[1] ـــ تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦٦ .
[2] ـــ حاشية الشهاب : ٩ / ٧٦ .
[3] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣١٦ .
[4] ـــ المرجع السابق .
[5] ـــ سورة الذّاريات ، آية ٤١ .

الفاعِلِ ، وهي التي لا تُلْقِحُ سَحَاباً ولا شَجَرَاً ، ويصحُ أن يكون بمَعْنَى المَفْعُولِ كالعَجُوزِ العَقِيمِ وهي التي لا تَقْبَلُ أثَرَ الخَيْرِ ، وإذا لَمْ تَقْبَل و لم تَتَأثّرْ لم تُعْطِ و لم تُؤَثّرْ " [1] .

ويذكر فخر الدين الرازي الآية في " فصل استعارة المحسوس للمحسوس بشبه عقلي " يقول : " المستعار له : الريح ، والمستعار منه : المرأة ، والجامع : المنع من ظهور النتيجة والأثر " [2] ، ويُحلل السكاكي [3] الاستعارة كتحليل الرازي ، في حين ينقد الخطيب القزويني تحليل السكاكي ، فيقول : " وفيه نظر ، لأن العقيم صفةٌ للمرأة لا اسمٌ لها ، وكذلك جُعِلَتْ صفةً للريح لا اسماً . والحق أن المستعار منه ما في المرأة من الصفة التي تمنع من الحمل ، والمستعار له ما في الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر وإلقاح شجر ، والجامع لهما ما ذُكِر " [4] .

فالخطيب يرى أنّ الاستعارة في الصفة لا في الاسم ومن خلال تحليله تكون استعارة تصريحية ، في حين أن تحليل السكاكي يذهب إلى أنّها استعارة مكنية ، ولا تعارض في هذا، لأنّ الاستعارة في القرآن ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة لتقريب المعاني الدينية والصور الغيبية ، وعلى الرغم من ذلك فإن ما ذهب إليه الخطيب القزويني أولى بالسياق فلا غاية وراء تشبيه الريح بالمرأة " ولأن العقم ليس صفةً للنساء مطلقاً ولا غالباً " [5] .

---

[1] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٥٧٩ ، أساس البلاغة : ٤٣١ .

[2] ـــ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي ، تحقيق ودراسة : بكري شيخ أمين ، دار العلم ، بيروت ـــ لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ٢٦٦ .

[3] ـــ مفتاح العلوم : ٣٨٩ .

[4] ـــ الإيضاح : ٢ / ٤٢٨ .

[5] ـــ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصّعيدي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ ـــ ١٩٩٩م ، ٣ / ١١٤ .

فعلى تحليل السكاكي نقول : شبه الريح الجافة بالمرأة العقيم بجامع : المنع من ظهور النتيجة والأثر ، ثم حذف المشبه به (المرأة) ورمز إليه بشئ من لوازمه وهـو (العقـم) واشتق من العقم صيغة مبالغة (عقيم) على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية .

وعلى تحليل الخطيب القزويني : شبه " الصفة التي تمنع من إنشاء المطر وإلقاح الشجر " في الريح " بالصفة التي تمنع من الحمل " في المرأة بجامع : المنع من ظهور الأثر والنتيجة ، ثم حذف المشبه واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وهذا أولى لأن الغرض يتعلق بالصفة لا بالذات .

فالاستعارة تُصوّر ما لحق بقوم عاد لتكذيبهم ، وهذا مرتبط بما يغلب على السورة من تهديد ووعيد بيوم الدين وفيه من العظة والعبرة ما ترى .

ثم ألا ترى أنّ " هذا الضرب من المعاني ، كالجوهر في الصَدَف لا يبرز لـكَ إلاّ أن تشُقّه عنه ، وكالعزيز المُحْتجب لا يُريك وجهه حتى تستأذن عليه " [1] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2] .

فقوله : (حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ) يجوز أن يكون استعارة تصريحية بتشبيه الحلول باللقاء، ويجوز أن يكون استعارة مكنية بتشبيه اليوم بشخص غائب ثم حذف المشبه به وأثبت لازمه للمشبه (الملاقاة) على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية [3] ، والمكنية أولى لما فيها من تشخيص وتفظيع وتهويل ، حتى يرسموا لأنفسهم صورة مفزعة لذلك اليوم وهو يترقبهم ويأخذهم لمواجهة المصير الذي فيه يصعقون .

---

[1] ــ أسرار البلاغة : ١٤١.

[2] ــ سورة الطور ، آية ٤٥ .

[3] ــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٨١ .

وهذه الاستعارة تسعى لتهديد المكذبين بذلك الجزاء الذي ذكر في أول السورة ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] .

" الكُدْيَةُ : صَلاَبَةٌ في الأرض . يُقالُ حَفَرَ فأكْدَى : إذا وصلَ إلى كُدْيَةٍ ، واسْـتَعيرَ ذلك للطالبِ المُخْفِق ، وَ المُعْطي المُقِلّ قال تعالى :﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰٓ ﴾" [2] .

إذا نظرنا إلى أنّ المقصود تشبيه المنع بالإكداء أي (التوقف) عن الحفـر بـسبب الصخرة ، ثم حذف المشبه واستُعير اللفظ الدال على المشبه به (أكدى) للمـشبه تكـون استعارة تصريحية تبعية ، وإذا نظرنا إلى أنّه شبه الشخص المقصود وهو (الوليد بن المغيرة) برجل يحفر ثم يصطدم بصخرة فتمنعه من الحفر ، حذف المشبه به وأتى بشئ مـن لوازمـه (أكدى) فحينئذٍ تكون استعارة مكنية ، والذي يقتـضيه الـسياق هـو النـوع الأول (التصريحية) لأنّ المقصود تسليط الضوء على الحدث وهو المنع وأنّه مفـاجئٌ يـدعو إلى العجب ، وأنّه ليس لقلة أو حاجة ولكنه لشح في نفسه التي توقفت عن العطاء .

وجاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴾ بعد الإدبار والإعراض والتكذيب بقصة المعراج خصوصاً لتدل وتؤكد على أن إعراضه وتكذيبه لا قيمـة لـه ولا وزن ، لأنه إعراض وتكذيب النفس الشحيحة التي لا ينتظر منها خير بعد ذلك أبداً .

ومنه قوله تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم

---

[1] ـــ سورة النجم ، الآيتان : ٣٣ ـــ ٣٤ .

[2] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٧٠٤ ، وأساس البلاغة : ٥٣٨ .

بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾[1] .

فقوله : (يَسْعَىٰ نُورُهُم) يجوز أن يكون استعارة تصريحية باستعارة السعي لامتداد النور وانتشاره من أمامهم ، يدل عليه قوله " بَيْنَ أَيْدِيهِمْ " ، ويجوز أن يكون استعارة مكنية بتشبيه النور بإنسان يسعى ثم حذف المشبه به وأثبت لازمه (يسعى) للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية وهو الأولى ، لأنّه يُشير إلى أنّ النور قد تشخّص ، وأنه يحتفي بهم وكأنه مسرور يتقدمهم ليُضيء لهم ، وكأنّه أيضاً يُكافئهم وهذا ما يجعل الاستعارة من نوع المكنية أولى ، وجاءت الاستعارة في سياق الترغيب في الإنفاق وبيان ذلك الجزاء المحبب الذي تميل إليه النفس ، وهو بعض الجزاء وليس كله بدليل قوله " وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ " ، فهي تدور في إطار الحث على النفقة والترغيب فيها الذي يغلب على موضوعات هذه السورة .

٧ ـــ وقوع الاستعارة التصريحية في أجزاء الاستعارة التمثيلية لحاجة المعنى والغرض :

قد اعتمدت في شواهد الاستعارة التمثيلية في سور هذا الجزء على المفسرين الذين اهتموا بالصور البيانية ودورها في تقديم المعاني القرآنية تقديماً مؤثراً يُحقق أغراضاً متعددة .

ووقعت الاستعارة التصريحية في أجزاء الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[2] .

---

[1] ـــ سورة الحديد ، الآيتان : ١١ ـــ ١٢ .

[2] ـــ سورة الذّاريات ، الآيتان ٣٩ ـــ ٤٠ .

" رُكْنُ الشيءِ : جانِبُهُ الذي يَسْكُنُ إليه ، ويُسْتَعارُ للقُوّةِ " [1] ونظر الألوسي إلى قوله (بركنه) فاعتبرها استعارة تصريحية حيث قال : " تولى بقوته وسلطانه والركن يُستعار للقوة ـــ كما قال الراغب " [2] ، في حين نظر ابن عاشور للتركيب في قوله (فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ) فاعتبرها استعارة تمثيلية ، وقال : " تمثيل لهيئة رفضه دعوة موسى بهيئة المنصرف عن شخص" [3] ، وهذا صحيح فإذا نظرنا للركن كانت استعارة تصريحية ، وإذا نظرنا للتركيب (فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ) كانت استعارة تمثيلية بل إنّه في أجزاء الاستعارة التمثيلية استعارة تصريحية .

والاستعارة تُبين تكبر فرعون ومدى ما وصل إليه من غرور بقوته وما ترتب على هذا من قوله : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ، وتدور في إطار تهديد المكذبين والمغترين بما يتناسق مع غرض بارز في السورة وهو تهديد المكذبين بيوم الدين.

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [4] .

" (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ) أي بكسبه وعمله (رَهِين) أي مرهون عند الله كأن الكسب بمنزلة الدين ونفس العبد بمنزلة الرهن ولا ينفك الرهن ما لم يؤدّ الدين فإن كان العمل صالحاً فقد أدى لأن العمل الصالح يقبله ربه سبحانه ويصعد إليه عز وجل وإن كان غير ذلك فلا أداء فلا خلاص إذ لا يصعد إليه سبحانه غير الطيب ، ولذا قال جل وعلا: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ ﴾ فإن المراد كل

[1] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٣٦٥ .
[2] ـــ روح المعاني : ٢٧ / ٢٤ .
[3] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ١٠ .
[4] ـــ سورة الطور ، آية ٢١ .

نفس رهن بكسبها عند الله تعالى غير مفكوك إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم " [1] .

فمن الواضح أنّها استعارة تمثيلية تعددت عناصر التجوز فيها ، والغرض هو تقريب المعنى مع التخويف والتحذير لأن كل النفوس بيد الله ، والإنسان يفدي نفسه بما يُقدمه من عمل صالح ، فالاستعارة جاءت في سياق الوعد بالنعيم للمتقين ولذلك فعلى الرغم مما فيها من تهديد فإن نبرة الترغيب أقوى .

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩ ﴾[2].

" شبه هيئة تساوي حظ الذين ظلموا من العرب بحظوظ الذين ظلموا من الأمم السالفة بهيئة الذين يستقون من قليب واحد إذ يتساوون في أنصبائهم من الماء " [3] ، استعارة تمثيلية وفي أجزائها استعارة تصريحية وهي استعارة الذنوب للنصيب ذكرها الراغب [4] ، ويبدو أنها من المجازات الشائعة التي صارت من الحقائق فلم نجد الزمخشري أو غيره أشار إليها بل إنّ هذا التمثيل صالح للتوزيع " بأن يشبه المشركون بجماعة وردت على الماء ، وتُشبه الأمم الماضية بجماعة سبقتهم للماء ، ويشبه نصيب كل جماعة بالدلو التي يأخذونها من الماء"[5] ، والاستعارة تدور في إطار غرض أساسي من أغراض السورة وهو التهديد والوعيد بيوم الدين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧ ﴾[6].

---

[1] ـــ انظر على سبيل المثال : الكشاف : ٤ / ٢٤ ، روح المعاني : ٢٧ / ٥٠ .

[2] ـــ سورة الذّاريات ، آية ٥٩ .

[3] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٠ .

[4] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٣٣١ .

[5] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٠ .

[6] ـــ سورة الحديد ، آية ١٧.

شبه حال لين القلوب وخشوعها بعد قسوتها بحال الأرض التي تنبت الزرع بعد جدبها ، بجامع : الهيئة الحاصلة من التغير من حال لحال مباينة ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به لحال المشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية [1] .

والاستعارة التمثيلية تحوي استعارتين تصريحيتين من أجل المعنى والغرض ، الأولى : استعارة الإحياء للإنبات والخضرة والنضرة ، والثانية : استعارة موت الأرض لجدبها وامتناعها عن الزرع والإنبات .

والاستعارة تعكس قدرة الله وهو معنى من المعاني الأساس في السورة ، وقد بدأت بقوله : (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ) والعلم يقتضي العمل ، ففيها دفع الناس إلى التماس حياة القلوب ولينها من الله ؛ لأنّه هو الذي يملك القلوب وهو القادر على أن يبدلها من حال إلى حال .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

فقوله : ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ استعارة تمثيلية أي يجعل لكم حالة من الهدى والاستقامة كحالة من يمشي في نور[3]، وفي داخل الاستعارة التمثيلية استعارة تصريحية وهي في تشبيه الأمر المعنوي(الهداية) بالنور الحسي ، والاستعارة للحث على تحقيق حقيقة الإيمان بالله ورسله والترغيب في ذلك ؛ لأنّ النفس الإنسانية مفطورة على ميلها لأن يكون الطريق الذي تسير فيه واضحا آمنا لا غامضا مخيفا .

---

[1] ـــ انظر على سبيل المثال : الكشاف ٤ / ٦٤ ، البحر المحيط : ٨ / ٢٢٢ ، التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٩٣ .

[2] ـــ سورة الحديد ، آية ٢٨.

[3] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧/ ٤٢٩ .

٨ ـــ التعبير عن صورة مركبة بلفظة مفردة :

من الظواهر التي لفتتني في سور هذا الجزء ، أنه قد يعبر عن صورة مركبة بلفظة مفردة ، وهذا يدل على ميزة في بعض مفردات اللغة ، واختيار القرآن لهذه المفردات في النظم الذي يناسبها لتقوم برسم صورة مركبة لمعنى مركب ، وهذا من الإيجاز المصور ، كقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝ ﴾[1] .

" الغَمْرُ الماء الكثير ... أي يَغْمُر مَنْ دَخله ويُغطِّيه " [2] ، فهذه الكلمة (غمرة) ترسم في الخيال صورة ذهنية مركبة ، تدل على أنه شبههم وقد استغرقهم الضلال وغمرهم بصورة الماء الذي يغطي ما فيه تغطية كاملة ، استعارة تمثيلية عُبِّر عنها بلفظة مفردة .

وهناك تناسب بين لفظ الاستعارة وموقعها ، فـــ (ساهون) تدل على أنها ليست غفلة عادية وإنما التي بلغت حدا كبيرا وكأنهم سكارى ، يقول سيد قطب : " التعبير يلقي ظلا خاصا ، يصور القوم مغمورين ساهين لا يشعرون بشئ مما حولهم ولا يتبينون كأنهم سكارى مذهولون " [3] ، فالاستعارة لها موقع ، وأنهم قد بلغوا من الغفلة حداً كأنهم غرقوا في بركة ماء ، وهي لبيان حال المكذبين بالبعث في الدنيا ، وهذا مرتبط بموضوع السورة لأنّ حالهم يدل على استحقاقهم التهديد والوعيد بيوم الدين .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾[4] .المعنى : " فاهربوا أيها الناسُ من عقاب الله إلى رحمتِه بالإيمان به ، واتباع أمره ، والعمل بطاعته " [5]

فـــ " الأمر بالفرار من العقاب المراد به الأمر بالإيمان ، والطاعة لأنه

---

[1] ـــ سورة الذاريات ، آية ١١.

[2] ـــ الصحاح تاج اللغة وصحَاح العَربية ، إسماعيل بن حمّاد الجوهَري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨٢م ، ٢ / ٧٧٢ ، لسان العرب : ٦ / ٣٣٣ .

[3] ـــ في ظلال القرآن : ٢٧ / ١٢ .

[4] ـــ سورة الذّاريات ، آية ٥٠ .

[5] ـــ تفسير الطبري : ٢١ / ٥٤٩ .

لأمنه من العقاب بالطاعة كأنه فرّ لمأمنه فهو استعارة تمثيلية " [1] .

وقد حللها ابن عاشور تحليلاً يليق بالسياق [2] ، فبعد أن ذكر الله سبحانه صوراً من هلاك الأمم على سبيل التهديد والتحذير ، فتح لنا باباً للنجاة بواسطة هذه الاستعارة (فروا) الدالة على ضرورة السرعة في الرجوع لله قبل أن يشملنا التهديد بالعذاب ، وهذا الفعل هو الذي يرسم صورة الخائف المرعوب الذي يسعى بسرعة للأمان والنجاة ، فهو مستعار ليدل على هذا المعنى المركب .

والغاية من التمثيل في القرآن : " المبالغة في الإيضاح والبيان حتى يصير الغائب كالحاضر ، والمتخيّل كالمتحققّ والمتوهم كالمتيقّن " [3] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝ ﴾[4] .

المعنى : " فَدَعَا نُوحُ رَبَّهُ : إن قومي قد غلبوني ، تمرّداً وعتواً ، ولا طاقة لي بهم ، فانتصرْ منهم بعقابٍ من عندك على كُفْرِهم بكَ " [5] .

ولفظ (مغلوب) قام مقام صورة مركبة ، فشبه حال نوح عليه السلام في دعوتهم مراراً وتكراراً حتى يئس منهم بحال من دخل في صراع مع خصم وقاتل حتى غُلب والجامع المحاولة المتكررة التي أدت للعجز ، وجاءت الاستعارة باسم المفعول (مغلوب) لأنّه يستجير ويتعجل إجابة دعوته ونصره ، وعُقّب بالفاء (فانتصر) للدلالة على سرعة الإجابة .

---

[1] ـــ حاشية الشهاب : ٨ / ٦٠٠ .

[2] ـــ يقول ابن عاشور : " والأنسب بالسياق أن الفرار إلى الله مستعار للإقلاع عن ما هم فيه من الإشراك وجحود البعث استعارة تمثيلية بتشبيه حال تورطهم في الضلالة بحال من هو في مكان مخوف يدعو حاله أن يفرّ منه إلى من يجيره ، وتشبيه حال الرسول صلى الله عليه وسلم بحال نذير قوم بأن ديارهم عرضة لغزو العدوّ " التحرير والتنوير : ٢٧ / ١٩ .

[3] ـــ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، العز بن عبد السلام ، دار الطباعة العامرية ، القاهرة ، ١٣١٣هـ ، ص ٩٢.

[4] ـــ سورة القمر ، الآيتان : ٩ ـــ ١٠ .

[5] ـــ تفسير الطبري : ٢٢ / ١٢١ .

والغرض من الاستعارة هو تجسيد إحساس نبي الله نوح عليه السلام بعد تعب طويل ويأس منهم وخير ما يصوره لفظ ((مغلوب)) ، لأنّه صورة محسوسة قريبة كأننا نُشاهدُها ، وهذه صورة من تكذيب الأقوام وعواقبهم على سبيل التحذير وهو مقام السورة .

ومنه قوله تعالى ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[1] .

جاء في لسان العرب : " قال أبو إسحاق النحوي في قوله تعالى : (مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) معنى القَرْض البَلاء الحَسَنُ تقول العرب لك عندي قَرْضٌ حَسَنٌ وقَرْضٌ سَيِّءٌ ، وأصل القَرْض ما يُعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه، والله عز وجل لا يَستَقْرِضُ من عَوَزٍ، ولكنه يَبْلو عباده فالقَرْضُ كما وصفنا قَالَ لبيد :

فإذا جُوزِيتَ قَرْضاً فاجْزِه إنَّما يَجْزِي الفَتَى لَيْسَ الجَمَلْ

معناه إذا أُسْدِيَ إليك مَعْرُوف فكافئ عليه " [2] . وعلى الرغم من أنّ الكلمة مفردة (يقرض) فإنّها تُصوّر هيئة من مقرض ومقترض وانتظار المقرض الجزاء الأفضل ، وفي المقابل (المشبه) : منفق ينفق لله عز وجل وينتظر ما هو أفضل عند الله ، فهو تمثيل تتكوّن صوره من أجزاء متعددة .

ويذهب الشهاب الخفاجي إلى جواز أن تكون استعارة تصريحية أو تمثيلية ويرى أنّ الأخيرة أولى ، يقول : " القرض مجاز عن حسن إنفاقه مخلصاً في أفضل جهات الإنفاق ، وذلك إمّا بالتجوّز في الفعل فيكون استعارة تبعية تصريحية أو في مجموع الجُملة فيكون استعارة تمثيلية وهو الأبلغ أي من ذا الذي يُنْفِق ماله في سبيل الله تعالى مُخْلِصاً متحرياً

---

[1] ـــ سورة الحديد ، آية ١١ .

[2] ـــ لسان العرب : ٩ / ٨٢ ـــ ٨٣ .

أكرمه وأفضل الجهات رجاء أن يُعوضه سبحانه بدله كمن يقرضه "[1] ، ووقعت الاستعارة في داخل الأسلوب الإنشائي الطلبي ، بواسطة الاستفهام ، وأداته (مَنْ) ، وقد خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي يُفهم من السياق وهو الحث والتحريض على الإنفاق ، وبذلك تلتحم دلالته بدلالة الصورة الاستعارية .

والغرض من الاستعارة هو تقريب المعنى برسم صورة مجسدّة له وموضحة للإعطاء الذي يترتب عليه جزاء أفضل ، ووراءها الترغيب في الإنفاق والحث عليه ، لأنّ الإنسان بطبيعته شحيح بماله فإذا علم أن ما يُنفقه سيعود أضعافاً هان عليه الإنفاق .

فلا يقف حد الاستعارة عند الوضوح والإيجاز والتوكيد ، بل نجد مع ذلك أنّها تُثير في النفس حبّ الإنفاق ، وتُقوي لديها قوة الإيمان التي تدفعها للبذل والتضحية .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[2] .

أعاد الاستعارة هنا للتأكيد على هذا المعنى المقصود لأنّه من الأغراض المحورية في السورة .

٩ ــ قمة الإيجاز :

لا شك أنّ كل استعارة تؤدي إلى الإيجاز ولكن أذكر شاهداً لفتني لما فيه من إيجاز شديد بحيث يُغني اللفظ المستعار عن كلام كثير كثير ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[3] .

---

[1] ــ حاشية الشهاب : ٩ / ٩٥ ، روح المعاني : ٢٧ / ٢٤٦ .

[2] ــ سورة الحديد آية ١٨ .

[3] ــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ٢٦ ــ ٢٧ .

" الرَّوْغُ : المَيْلُ عَلَى سَبِيلِ الاحْتِيَال ، ومنه رَاغَ الثَّعْلَبُ يَرُوغُ رَوَغَاناً "[1] ، فقد استعار الرَّوْغ لذهاب إبراهيم عليه السلام لأهله في خفة وخُفية ، واختير الفعل (راغ) دون ذهب أو مال لما فيه من معنى الخفاء الدال على أدب إبراهيم عليه السلام ، وأنه لا يُشْعِر ضيوفه وإنما يتحايل بالتخفي الذي يكون شبيها بالروغ أو الروغان .

وفي هذه الاستعارة تبرز خاصية الإيجاز ، فقد ذكر ابن القيم في قصة إبراهيم مع ضيوفه خمسة عشر أدباً منها :

" أنه راغ إلى أهله ليحييهم بنُزُلهم ، والروغان : هو الذهاب في اختفاء ، بحيث لا يكاد يُشعر به ، وهذا من كرم ربّ المنزل المضيف أنه يذهب في اختفاء بحيث لا يشعر به الضيف ، فيشق عليه ويستحيي فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام ، بخلاف من يسمع ضيفه ، ويقول له أو لمن حضر : مكانكم حتى آتيكم بالطعام ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه "[2] .

فوراء هذه الاستعارة كلام كثير أغنى القرآن عنه بفعل واحد ، وقد جاء نظمها بالطريقة نفسها ، فمن ذلك قول ابن القيم : " إنه ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة ، فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهيئاً للضيفان ، ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه .

الثامن : قوله : (فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) دل على خدمته للضيف بنفسه ولم يقل فأمر لهم ، بل هو الذي جاء به بنفسه ولم يبعثه مع خادمه ، وهذا أبلغ في إكرام الضيف .

---

[1] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٣٧٣ .

[2] ـــ الرسالة التبوكية ، ابن القيم ، علق عليها : أبو أسامة سليم بن عبد الهلالي السلفي ، مكتبة الخرّاز ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٩هـ ـــ ١٩٩٨م ، ص ٢٠٩ ، وجلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ، ابن القيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ـــ بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ ـــ ٢٠٠١م ، ص ١٢٠ .

التاسع : أنه جاء بعجل كامل و لم يأت ببعض منه ، وهذا من تمام كرمه صلى الله عليه وسلم .

العاشر : أنه سمين لا هزيل ، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم ، ومثله يُتخذ للاقتناء والتربية فآثر به ضيفانه .

الحادي عشر : أنه قربه إليهم بنفسه و لم يأمر خادمه بذلك .

الثاني عشر : أنه قربه إليهم و لم يُقربهم إليه ، وهذا أبلغ في الكرامة أن تُجلس الضيف ثم تُقرب الطعام إليه وتحمله إلى حضرته ، ولا تضع الطعام في ناحية ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه .

الثالث عشر : أنه قال : (أَلاَ تَأْكُلُونَ) ، وهذا عرض وتلطف في القول وهو أحسن من قوله : كلوا أو مدوا أيديكم نحوها ، وهذا مما يعلم الناس بعقولهم حسنه ولطفه ، ولهذا يقولون : بسم الله أو ألا تتصدق ، أو ألا تجبر ونحو ذلك .

الرابع عشر : أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه رآهم لا يأكلون ، و لم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل ، بل كان إذا قدم إليهم الطعام أكلوا ، وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم : أَلاَ تَأْكُلُونَ ، ولهذا أوجس منهم خيفة أي أحسها وأضمرها في نفسه و لم يُبدها لهم ، وهو الوجه "[1] .

فإذا جئنا لموضوعات الاستعارة وأغراضها في هذا الجزء وجدناها كثيرة متنوعة ، وقد سبق كثير منها في أثناء تعديد ظواهر الاستعارة ، ولكني أقف هنا على أبرز تلك الأغراض والموضوعات ومنها :

---

[1] ـ الرسالة التبوكية : ٢٠٩ ـ ٢١٠ ، وجلاء الأفهام : ١٢٠ ـ ١٢١ .

١ ـــ تصوير النعيم للترغيب فيه :

قال تعالى : ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] . جاء في أساس البلاغة : " نزع الشئ من يده : جذبه وانتزعه ، ورجلٌ مِنزَعٌ : شديد النّزْع ، ونَزَع الدلو من البئر ومن المجاز : .. تنازعوا الكأس : تعاطوْها" [2] .

نلحظ هنا أنه استعير التنازع ـــ الذي هو في الأصل الخلاف للحصول على شئ ـــ للتعاطي والتداول فيما بينهم ، يقول الشهاب : " اُستُعير لتعاطي الكاسات أي إدارتها بين الندامى ، وأصله تفاعل من العطاء لأن النديم يُعطيه الساقي فإذا شرب أعطاها له " [3] ، استعارة تصريحية تبعية في الفعل (يتنازعون) وجاء بصيغة المضارع لاستحضار الصورة وما في ذلك من الترغيب .

والاستعارة تُصوّر جو المرح والود السائد بين المنعمين بشرب الخمر ، وهي صـــورة من صور نعيم المصدقين بيوم الدين .

وظهور المعنى بهذا الأسلوب ـــ الاستعارة ـــ له دور في وضوحه ، وإزالة الغمـــوض عنه في صورة حية متحركة تجعلنا ندرك ما في الجنة من النعيم و الود والمحبة ، ثم التأكيد على أن المرح من غير صخب في قوله : ﴿ لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾.

ومنه قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾[4] .

"الموضونةُ المنسوجة أي منسوجة بالدُّر والجوهر بعضها مُدَاخَلٌ في بعض ودرع موضونةٌ مضاعفة النسج قال الأعشى :

وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً   تُسَاقُ مَعَ الحــَيّ عِيراً فَعِيرَا " [5]

---

[1] ـــ سورة الطور ، آية ٢٣ .

[2] ـــ أساس البلاغة : ٦٢٧ ـــ ٦٢٨ .

[3] ـــ حاشية الشهاب : ٨ / ٦١٢ .

[4] ـــ سورة الواقعة ، آية ١٥ .

[5] ـــ لسان العرب : ١٧ / ٣٤١ ـــ ٣٤٢ .

يقول الزمخشري : " (موضونة) مرمولة بالذهب مشبكة بالدّر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع ... وقيل متواصلة أدنى بعضها من بعض "[1]، فهي استعارة مبنية على التشبيه هذا ما أراده الزمخشري في حين ذكر التشبيه وبلوره الألوسي في الاستعارة [2] .

ويجوز أن تكون استعارة مكنية ، وأن تكون تصريحية بتشبيه نسج السرير بالوضن مطلقاً ، وهذا أولى، فليس المقصود تشبيه السرير بالدرع، وإنّما إبراز الصفة الخاصة بمضاعفة النسج مع الزينة والنعيم . ووراء هذه الاستعارة أمران : التزيين بالأشياء الثمينة وقوة النسج المضاعفة ، ولا شك أنّ الاستعارة تُبْرِز صورة من صور نعيم السابقين من أهل الجنة ، وهي بذلك تنسجم مع السياق العام للسورة، وهو الحرص على الترغيب في نعيم الجنة وخصوصاً الذين سبقوا إليها وهم كثرة من الأولين وقليل من الآخرين .

٢ ـــ تصوير العذاب للتحذير منه :

كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[3] .قال الإمام الطبري : "اختلف أهل التأويل في معنى قوله : " يُفْتَنُونَ " في هذا الموضع فقال بعضهم : عني به أنّهم يُعذّبون بالإحراق بالنار ، وقال آخرون : بل عني بذلك : أنهم يكذبون . وأولى القولين بالصواب في تأويل قوله تعالى : "يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ " قولُ من قال : يُعَذَّبُونَ بالإحراق ، لأن الفتنة أصلها الاختبار ، وإنما يقال : فتنت الذهب بالنار : إذا طبختها بها لتعرف جودها ، فكذلك قوله : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ يُحْرقون بها كما يُحْرق الذهب بها "[4] .

---

[1] ـــ الكشاف : ٤ / ٥٣ .
[2] ـــ روح المعاني : ٢٧ / ١٩٢ .
[3] ـــ سورة الذّاريات ، آية ١٣ .
[4] ـــ تفسير الطبري : ٢١/ ٤٩٨ .

شبه إدخال الكافر النار بإدخال الذهب في النّار لتظهر جودته من رداءته بجامع الإحراق والذوبان ، وفي اختيار (الذهب) إشارة إلى أنّ النار من القسوة بحيث تكاد تذيب الكافر كما يذوب الذهب ، وهذه الصورة توقع في نفس السامع الهيبة والخشية .

ووقعت الاستعارة بصيغة المضارع لاستحضار الصورة المحذرة مع إفادة التجدد دون انقطاع ، كما أنّ في تكرار الإسناد مرة إلى الفعل وأخرى إلى المسند إليه تقوية للحكم وإشارة إلى اختصاصهم بالعذاب واستحقاقهم له مما يوقع الهيبة في النفس ، والاستعارة تدور في إطار ما يغلب على السورة من تهديد ووعيد بيوم الدين .

٣. اللفت إلى مظاهر قدرة الله في الكون :ـــ

من ذلك قوله تعالى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦ ﴾[1]. جاء في مفردات الرَّاغب : " الوُلُوجُ : الدُّخُولُ في مَضِيقٍ . قال تعالى ﴿...حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ { الأعراف / ٤٠ } وقوله : ﴿ ... يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ... ۝٦١ ﴾ { الحج / ٦١ } فيه تنبيه على ما ركّبَ الله عزّ وجلّ عليه العالم من زيادة الليل في النهارِ ، وزيادةِ النهارِ في الليلِ ، وذلك بِحَسَبِ مَطَالِعِ الشمسِ ومغارِبها "[2] .

يقول الشريف الرضى : " هذه استعارة ، وهي عبارة عجيبة عن إدخال هذا على هذا ، وهذا على هذا . والمعنى : أن ما ينقصه من النهار يزيده في الليل ، وما ينقصه من الليل يزيده في النهار. ولفظ الإيلاج ههنا أبلغ ، لأنه يفيد إدخال كل واحد منهما في الآخر ، بلطيف الممازجة ، وشديد الملابسة "[3] ، وهو مظهر من مظاهر قدرة الله التي

---

[1]ـــ سورة الحديد ، آية ٦ .

[2]ـــ مفردات ألفاظ القرآن :٨٨٣ .

[3]ـــ تلخيص البيان في مجازات القرآن : ١٢٣ .

ذُكرت في أول السورة ، وتدل على المُلك المطلق ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾[1] .

استعار السجود للانقياد فـ " شبه جريهما { النجم والشجر } على مقتضى طبيعته بانقياد الساجد لخالقه ، وتعظيمه له "[2] ، وأتى الفعل بصيغة المضارع لإفادة التجدد دون انقطاع وأن ما خلق من زروع وأشجار لا تكف عن الإثمار انقياداً لحكمة الله من خلقها ، فالاستعارة تُبيّن نعمة من نعم الله وهي انقياد الكائنات في السماوات والأرض لتحقيق مصلحة الإنسان ، وهذا مرتبط بمقام السورة وهو تعدد نعم الله والتقرير بها ، ووراء ذلك التنبيه على قدرة الخالق سبحانه وتعالى .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[3] .

" الفاء والراء والشين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تمهيد الشئ وبَسْطه "[4] ، والمعنى :" الأرض جعلناها فراشاً للخلق "[5] ، شبه الأرض بالبساط في الامتداد والتسوية والتمهيد ، ثم حذف المشبه به وجاء بشئ من لوازمه (فرشناها) على سبيل الاستعارة المكنية التي تبرز نعمة الله وقدرته في خلق الأرض التي نتمكن من العيش فيها[6] .

وقد دلنا بقدرته فيما نُشاهده على قدرته فيما لم نُشاهده (البعث) ، فقدرة الله أمام أعيننا دليل على ما لم نره ، وهو مرتبط بموضوع غالب في السورة وهو إمكان البعث .

---

[1] ــ سورة الرحمن ، آية ٦ .

[2] ــ حاشية الشهاب : ٩ / ٤٤ .

[3] ــ سورة الذاريات ، آية ٤٨ .

[4] ــ انظر : مقاييس اللغة : ٤ / ٤٨٦ ، ولسان العرب : ٨ / ٣١٧ .

[5] ــ تفسير الطبري : ٢١ / ٥٤٧ .

[6] ــ تأملات في سورة البقرة ، حسن محمد باجودة ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ط ١ ، د . ت ، ١ / ١٧٦ ــ ١٨٠ .

تعقيب :.

١ ــ المعاني في سور جزء الذّاريات مرتبطة ويترتب بعضها على بعض ويُكمل بعضها بعضا .

٢ ــ كثرة ورود أساليب الاستعارة في هذا الجزء إذ أنّها تفوق التشبيه والكناية ، لمالها من أثر في توضيح المعنى وتقريبه عن طريق تجسيده وتشخيصه وجعله ماثلاً للعيان .

٣ ــ الاستعارة في سياق الاستفهام الإنكاري نجدها في السور المكية بشكل لافت ، لما تتضمنه من الحديث عن تكذيب البعث، والجزاء، والوحي، وتحذير وتهديد المكذبين بها .

٤ ــ قد تكون اللفظة مفردة وتدل على صورة مركبة ، كما قد يرد المعنى الحقيقي والمجازي دون تعارض بينهما، بل إن أحدهما مترتب على الآخر ، وهذا من إعجاز القرآن .

٥ ــ كثرة استعارة الحسّي لتصوير المعنوي وهو الصميم الخالص من الاستعارة ــ كما أطلق عليه الإمام عبد القاهر رحمه الله ــ وفي ذلك دليل على تميز الصورة الاستعارية في القرآن ، وأنها في أعلى درجة من البلاغة .

٦ ــ قد نجد الاستعارة التصريحية في أجزاء التمثيلية ، وهذا التكثيف لحاجة المعنى والغرض .

٧ ــ مما تجدر الإشارة إليه أنّ التقسيم إلى ظواهر لا يعني انفصالها ، لأنّ هناك من الظواهر المتصلة بالاستعارة ما يتفاعل بعضه مع البعض الآخر .

٨ ــ مع أنّ الاستعارة تُحقق الإيجاز عموماً، فإن هذا الأمر يتحقق على أعلى مستوى في استعارات القرآن عموماً .

الفصل الثالث :
الكناية في جزء الذّاريات :
ظواهرها وأسرارها

إضاءة :

الكناية أسلوب من أساليب البيان العربي وفنٌ من فنونه ، و" واد من أودية البلاغة، ومقتل من مقاتل البيان العربي ، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه ، وصفت قريحته ، وطريق جميل من طرق التعبير الفنّي يلجأ إليها الأدباء للتعبير عمّا يدور في نفوسهم من المعاني، ويجيش في صدورهم من الخواطر ، ووسيلة قويّة من وسائل التأثير والإقناع ، ولها أثرٌ كبيرٌ في تحسين الأسلوب ، وتزيين الفكرة ، فهي في العبارة الأدبية كالدّرّة اليتيمة في العقد ..."[1].

والكناية كالاستعارة في أنها تُعطينا صورة جديدة للمعنى ولا تقارن بين الأشياء كما في التشبيه .

وهي لغة من الستر ، يُقال : " أكْنَنْتُ الشيءَ إذا سَتَرْتَه " [2] ، واصطلاحاً : " لفظ أُريد به لازمُ معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ " [3] .

وفرّق الخطيب القزويني بينها وبين المجاز فقال : " فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه ، أي من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمِه ، فإن المجاز يُنافي ذلك ، فلا يصح في نحو قولك : " في الحمام أسد " أن تريد معنى الأسد من غير تأوّل ، لأن المجاز ملزوم قرينةٍ معاندةٍ لإرادة الحقيقة " [4] .

ودرس عبد القاهر الجرجاني الكناية دراسة " تقوم على الفهم لدلائل التراكيب وخوافيها ، ويغوص في نصوص الكناية ليخرج منها بمعانٍ فاتت من سبقه وعجز عن مثلها

---

[1] ـــ الأسلوب الكنائي ، محمود السّيد شيخون ، مكتبة الكليّات الأزهرية ، القاهرة ، ط ١، ١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨م ، ص ٨٧ .

[2] ـــ لسان العرب : ١٧ / ٢٤٢ .

[3] ـــ الإيضاح : ٢ / ٤٥٦ .

[4] ـــ المصدر نفسه .

من لحقه فالنصوص الكنائية أصبحت فناً ينبض بالحركة والحياة ، فالجرجاني يستخرج منـــها أشكالاً أدبية حية ثم يُناظر بينها ويُفاضل "[1] ، وعرّفها قائلاً : " أن يريدَ المتكلّم إثباتَ معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه ورِدْفُه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه ، مثال ذلك قولهم : " هُو طويـــلُ النجـــاد " ، يُريدون طويل القامة " وكثيرُ رَمادِ القِدْر " ، يَعنون كثيرَ القـــرى ، وفي المـــرأة : " نَـــؤُوم الضُّحَى " ، والمراد أنها مُتَرفَةٌ مخدومة ، لها من يكفيها أمرها ، فقد أرادوا في هذا كله ، كما ترى ، معنى ، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصّلوا إليه بذكر معنىً آخـــر مـــن شأنه أن يَرْدَفَه في الوجود ، وأن يكون إذَا كان . أَفَلاَ ترى أن القامة إذا طالت طال النِّجاد؟ وإذا كثر القرى كثر رماد القدر ؟ وإذا كانت المرأة مُتْرَفةً لها من يكفيها أمرها ، رَدِفَ ذلك أن تنام إلى الضحى ؟ "[2] ، ونظرته للكناية مستمدة من نظرة قدامة بن جعفر الذي أطلـــق عليها اسم الإرداف حيث قال : " ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى الإرداف وهو أن يُريـــد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يـــدلّ على معنى هو ردفه وتابع له ، فإذا دلّ على التّابع أبان عن المتبوع "[3] ، فقد عرّفها قدامـــة تعريفاً اصطلاحياً ومثّل لها إلا أنّه لم يقف عند الشواهد ويستنطقها كما وقف عبد القاهر ، وجعلها من أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى في حين جعلها عبد القاهر تحت عنـــوان " اللفـــظ يطلق والمراد به غيرُ ظاهره " وهذا العنوان ينطبق تماماً مع نظريته : " المعنى ومعـــنى المعـــنى" وهو أن " الكلام على ضَرْبينِ : ضَرْبٌ أنت تصِل منه إلى الغرض بدلالة اللّفـــظ وحـــده ، وذلك إذا قصدت أن تُخْبِر عن " زيد " مَثلاً بالخروج على الحقيقة ، فقلت : " خرج زيـــد

---

[1] ـــ الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي ، محمد الحسن على الأمين أحمد ، المكتبة الفيصلية ، ١٤٠٥هـــ ـــ ١٩٨٥م ، ص ٤١ .

[2] ـــ دلائل الإعجاز : ٦٦ .

[3] ـــ نقد الشعر : ١٥٥ ـــ ١٥٦ .

"، وبالانطلاق عن " عمرو " فقلت : " عمرو منطلق " وعلى هذا القياس وضربٌ آخر أنت لا تَصِل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحدَه ، ولكن يَدُلّك اللفظ على معناه الذي يَقْتَـضيه موضُوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دِلالةً ثانية تصل بها إلى الغرض .ومَدَارُ هـذا الأمـر على " الكناية " و " الاستعارة " و " التّمثيل " " [1] .

أقسام الكناية :

تنقسم الكناية باعتبار المكنّى عنه إلى ثلاثة أقسام :

١ ـــ الكناية عن موصوف : كقول المتنبي :

وَمَنْ في كَفّهِ مِنْهُمْ قناةٌ كَمنْ في كفّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ [2]

كنى عن الرجل بحمل القناة ، وعن المرأة بخضاب الكف ، وهذا ما تختص به كما يختص الرجل بحمل القناة .

٢ ـــ الكناية عن صفة : كقول عمر أبي ربيعة :

بَعِيدةُ مَهْوَى القُرْطِ إمَّا لِنَوْفَلٌ أبُوهَا ، وَإمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ [3] .

كنى بـــ (بعد مهوى القرط) عن طول الجيد .

٣ ـــ الكناية عن نسبه " : بأن يُصرِّح بالصفة ويقصد بإثباها لشئ الكناية عن إثباها للموصوف بها " [4]

" ومثالُه قولُ زيادٍ الأعجم :

إنّ السَّماحة والُمروءةَ والنّدى في قُبّةٍ ضُرِبَتْ على ابن الحَشْرَجِ

---

[1] ـــ دلائل الإعجاز : ٢٦٢ .

[2] ـــ ديوان أبي الطّيّب المتنبي بشرح أبي البقاء العكْبَري المسمَّى بالتّبيان في شرح الديوان ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السَّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة ، بيروت ـــ لبنان ، د . ط ، د . ت ، ١ / ٨٥ .

[3] ـــ شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي ، تأليف : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـ ـــ ١٩٦٠م ، ص ٢٠٨ .

[4] ـــ بغية الإيضاح : ٣ / ١٥٨ .

أراد ، كما لا يخفى، أن يُثْبِتَ هذه المعانيَ والأوصافَ خلالاً للممدوح ، وضَرَائبَ فيـــه ، فترك أن يُصرّح فيقول : ((إن السماحة والمروءةَ والندى لمجموعة في ابـــن الحـــشرج ، أو مقصورةٌ عليه ، أو مُختَصّةٌ به)) ، وما شاكل ذلك مما هو صريح في إثبـــات الأوصـــاف للمذكورين بها ، وعَدَل إلى ما ترى من الكناية والتلويح ، فجعل كونَها في القُبّةِ المـــضروبة عليه ، عبارة عن كونها فيه ، وإشارةً إليه ، فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة، وظهر فيه ما أنت ترى من الفَخَامة " [1] .

مزية الكناية :

الكناية لها أثرٌ بارزٌ في تأكيد المعاني وتثبيتها ذلك لأنها تتضمن الحكـــم مـــصحوباً بدليله، يقول عبد القاهر : " أما " الكناية " فإنّ السببَ في أنْ كان للإثبات بهـــا مزيّـــةٌ لا تكون للتصريح ، أنّ كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه ، أنّ إثبات الصفة بإثباتِ دليلـــها ، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها ، آكدُ وأبلغُ في الدّعْوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكـــذا سَاذَجَاً غُفْلاً . وذلك أنّك لا تدّعِي شاهدَ الصفة ودليلَها إلاّ والأمـــر ظـــاهرٌ معـــروفٌ ، وبحيث لا يُشكّ فيه ، ولا يُظَنّ بالمُخْبِرِ التجَوّزُ والغَلَط " [2] .

فالمزية تكمن إذن في طريقة إثبات المعنى وتأكيده وتقريره ، لا بزيادة في ذات المعنى، فـــ " ليست المزيّةُ التي تُثْبِتها لهذه الأجناس ـــ الكناية والاستعارة والتمثيل ـــ على الكـــلام المتروك على ظاهره ، والمبالغةُ التي تَدّعى لها في أنْفُس المعاني التي يقْصِدُ المتكلم إليها بخبره ، ولكنها في طَريق إثباته لها وتقريره إياها . تفسيرُ هذا : أنْ لَيْس المعنى إذا قلنا :" إن الكنايـــةَ أبْلغُ من التصريح " ، أنّك لمّا كنيت عن المعنى زدت في ذاته ، بل المعنى أنك زدت في إثباته ، فجعلتَه أبلغَ وآكدَ وأشدّ ، فليست المزيّة في قولهم : " جَمُّ الرماد " ، أنه دلّ علـــى قِـــرىً

---

[1] ـــ دلائل الإعجاز : ٣٠٧ .

[2] ـــ المصدر نفسه : ٧٢ .

أكثر، بل أنك أثبتَّ له القرى الكثير من وجه هو أبلغَ ، وأوجبته إيجاباً هو أشدَّ ، وادّعَيته دَعْوَى أنت بها أنطقُ ، وبصِحّتها أوثقُ "[1] .

وأخيراً .. الكناية تحتاج إلى مزيد من التفكير والتدبر ولطف النظر " نظراً لأنّ المعنى الكنائي يكون مختفياً وراء المعنى الأصليّ ، فيحتاج في إدراكه إلى تأمّل ومعاودة نظر ، وهذا أدعى إلى تقويته في النّفس وتثبيته فيها ، إذ توصّلت إليه بعد معاناة فكر وكدّ وتعب "[2] .

وإليك الكناية في جزء الذّاريات : ظواهرها وأسرارها .

[1] ــ دلائل الإعجاز : ٧١ .

[2] ــ أفنان البيان : ٢٧٠ .

أولاً الكناية عن موصوف في جزء الذّاريات :

أول ما يَلْفِتنا في هذا النوع من الكناية أن الموصوف الذي كُنّى عنه كثيراً ما يكـــون عنصراً من عناصر هذا الكون الذي تكمن فيه قدرة الله ونعمته كالسحاب والرياح والسفن والسماء ، فيُكنى عنها بالصفات التي تُبرز قدرة الله الذي سخر هذه العناصر الكونية وأنعـــم بها على الإنسان .

وقد جاء من ذلك أربع كنايات متوالية عطف بعضها على بعض بالفاء هي قوله تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ ﴾[1] .

فقوله : (وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا) كناية عن " الرياح لأنها تذرو التراب وغيره " [2] ، وقد كني بهذه الصفة للدلالة على قدرة الله في أن جعل الرياح تذرو التراب وغيره، وتدفع كل ما يقع في طريقها .

وقوله : ﴿ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴾ كناية عن " السحاب لأنها تحمل المطر " [3] ،وذكرت بهذه الصفة (الحاملات) للدلالة على قدرة الله في أن جعل السحاب تحمل بداخلها غيثاً ، والوِقْر هو الحمل الثقيل كما تدل كتب اللغة [4] .

وقوله : ﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴾ كناية عن السفن التي تجري في البحار جرياً ســـهلاً

---

[1] ــ سورة الذّاريات ، الآيات :١ ــ ٤ .

[2] ــ انظر على سبيل المثال : الكشاف : ٤ / ١٣ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢٠ ، البحر المحيط : ٨ / ١٣٢ ، إرشاد العقل السليم : ٨ / ١٣٦ ، روح المعاني : ٢٧ / ٥ .

[3] ــ انظر على سبيل المثال : الكشاف : ٤ / ١٣ ، البحر المحيط : ٨ / ١٣٢ ، روح المعاني : ٢٧ / ٥ .

[4] ــ انظر : الصحاح : ٢ / ٨٤٨ ، مقاييس اللغة ٦ / ١٣٢ ، لسان العرب : ٧ / ١٥٣ .

يسيراً [1] ، وقد كُنّي بهذه الصفة للدلالة على قدرة الله الذي سخر الرياح لتدفع هذه السفن ذات الأحمال الثقيلة .

وقوله : ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ كناية عن الملائكة أو الرياح التي تُقسّمُ أمرَ الله في خلقه [2] ، والأول هو المرجح لأن الرياح قد سبق الكناية عنها في أول آية (وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا)، فيكون قد كنّى عن الرياح ثم السحاب ثم السفن ثم الملائكة ، فبين هذه العناصر المكنّى عنها تناسب وائتلاف .

ولقد تجاورت تلك الكنايات لأسباب عدة :

١ ـــ أنّها تدخل جميعاً في المقسم به ، وإنما يقسم الله سبحانه بالأشياء العظيمة من مخلوقاته الدالة على قدرته ، وهذه الأشياء جميعاً دالة على قدرته سبحانه .

٢ ـــ أن بين المكنّى عنه في تلك الكنايات تفاعلاً وانسجاماً ، فالسفن إنما تجري بدفع الرياح ، وتلك الرياح نفسها هي التي تدفع السحب وتحملها إلى المكان الذي يُقدِّره الله .

٣ ـــ أن الصفات التي كنى بها متحركة فيجمع بينها الحركة فالرياح لا تكف عن الحركة ، والسحب الحاملات متحركة ، والسفن الجاريات تجري بيسر ، والملائكة تقسم أمر الله.

وهناك سمة مشتركة في صياغة هذه الكنايات وهي اسم الفاعل الذي يدل على استمرار حركة تلك الأشياء وما يترتب عليه من استمرار حركة الإنسان واستمرار نعمة الله ورزقه لعباده في السحاب والرياح التي تدفعها ، والسفن التي تنقلنا وتنقل أمتعتنا ، وقد

---

[1] ـــ انظر على سبيل المثال : تفسير الطبري : ٢١ / ٤٨٢ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢٠ ، إرشاد العقل السليم : ٨ / ١٣٦ ، روح المعاني : ٢٧ / ٥ .

[2] ـــ انظر على سبيل المثال : تفسير الطبري : ٢١ / ٤٨٢ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢٠، إرشاد العقل السليم : ٨ / ١٣٦ .

عطف الثانية والثالثة والرابعة بالفاء لتتناسق دلالتها مع جو السرعة الذي يُسيطر على ذلك السياق وهذا يتواءم مع ما فيها من حركة دائبة .

ولا شك أنّ إيثار التعبير الكنائي ههنا لأنّ الموصوفات المجردة لا تدل على ما تدل عليه صفاها من الحركة الدالة على قدرة الخالق سبحانه ، وهذا أوقع في سياق القسم على قدرة الله سبحانه .

وقد لوحظ في الكنايات عن موصوف في سور هذا الجزء أنّ اللفظ المكنّى به قد يكون جُملة كما في الشواهد الأربعة السابقة وذلك لأنّه عبارة عن أسماء أو صفات مشتقة تعمل عمل الفعل حتى تُشكِّل جُملةً تامة ، وطبيعة الوصف المتحرك هو الذي اقتضى هذا ، وقد يكون اللفظ المكنّى به لفظاً مفرداً وهو الأكثر كما في قوله تعالى : ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [1] .

فقوله : (حق) كناية عن الصّدقة ، وعبّر عن الموصوف بـ (حق) لأنّه " نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقرباً إلى الله عز وجل وإشفاقاً على الناس " [2] ، وخصّ السائل " الذي يستجدي (والمحروم) الذي يُحسب غنياً فيُحرم الصدقة لتعففه " [3] ، وذلك للحث والتحفيز، وذكرهما دون غيرهما أدعى لاستفزاز النَّخوة ، ومقاومة الشح الذي جُبلت عليه النفس الإنسانية .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴾ [4] .

---

[1] ـــ سورة الذّاريات ، آية ١٩ .

[2] ـــ انظر على سبيل المثال : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢٢ ، حاشية الشهاب : ٨ / ٥٩٤ ، روح المعاني : ٢٧ / ١٤ .

[3] ـــ انظر على سبيل المثال : الكشاف : ٤ / ١٦ ، روح المعاني : ٢٧ / ١٥ .

[4] ـــ سورة الطور ، آية ٥ .

كناية عن السماء ، يؤيده قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1] ، وعبّر عن السماء بصفتها للدلالة على قدرته تعالى في رفعها ، وهذا داخل في إطار الاستدلال على صدق وقوع العذاب .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [2] .

فقوله: (شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ) كناية عن جبريل عليه السلام ، والقوى : " جمع قُوّة ، وهذا في جبريل عليه السلام متمكن ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ " [3] ، وعبّر عن الموصوف بصفته المشتملة على عدة فوائد " (الأولى) أن مدح المعلم مدح للمتعلم ... (الثانية) أن فيه رداً عليهم حيث قالوا أساطير الأولين سمعها وقت سفره إلى الشام ، فقال لم يُعلِّمه أحد من الناس بل معلمه شديد القوى ... (الثالثة) فيه وثوق بقول جبريل عليه السلام فقوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ جمع ما يوجب الوثوق لأن قوة الإدراك شرط الوثوق بقول القائل ... (الرابعة) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهي من حيث إن الله تعالى لم يكن مختصاً بمكان فنسبته إلى جبريل كنسبته إلى محمد صلى الله عليه وسلم فإذا علم بواسطته يكون نقصاً عن درجته فقال ليس كذلك لأنّه شديد القوى يثبت لمكالمتنا وأنت بعد ما استويت فتكون كموسى حيث خر فكأنه تعالى قد علمه بواسطة ثم علمه من غير واسطة كما قال تعالى { ..وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ } وقال صلى الله عليه وسلم " أدبني ربي فأحسن تأديبي " " [4] ، أضف إلى هذا مناسبته للأوصاف التي بعده [5] .

---

[1] ـــ سورة الأنبياء ، آية ٣٢ .

[2] ـــ سورة النجم ، آية ٥ .

[3] ـــ المحرر الوجيز : ١٥ / ٢٥٧ .

[4] ـــ التفسير الكبير : ٢٨ / ٢٨٤ ـــ ٢٨٥ .

[5] ـــ انظر : البحر المحيط : ٨ / ١٥٥ ، التحرير والتنوير : ٢٧ / ٩٥ .

وهناك ظاهرة ملحوظة في الكنايات عن موصوف في سور هذا الجزء وهي تعدد اللفظ المكنَّى به والمكنَّى عنه واحد ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَٱلْجَـٰرِيَـٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [3] .

فالمكنَّى عنه واحد وإن جاء اللفظ المكنَّى به متنوعاً ما بين الجاريات والجوارى وذات ألواح ودسر ، وقد تعدد اللفظ حسب تعدد الأغراض ، فالغرض في الشاهد الأول : مناسبة القسم بالرياح التي تدفعها (فالمقسمات أمراً) وكلاهما ينسجمان صياغة وغاية للدلالة على قدرة الله سبحانه .

والغرض من الشاهد الثاني : التذكير بنعمة الله سبحانه الذي سخر الرياح لتـــدفعها ولذلك كان لفظ الجوارى بجمع التكسير الدال على الكثرة ، والغرض من الشاهد الثالث : هو الإشارة إلى هداية الله لنوح عليه السلام ليصنع من تلك الوسائل اليـــسيرة " الألـــواح والدسر " سفينة عظيمة [4] .

ومن ذلك أيضاً الكناية عن قوم لوط بلفظين في آيتين : الأولى قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [5] والثانية قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ [6] .

فالمكنَّى عنه واحد وهو قوم لوط، وتعدد اللفظ لتعدد الأغراض ، فالغرض في الشاهد الأول(إلى قوم مجرمين) هو بيان استحقاقهم العذاب بسبب إجرامهم ﴿ لِنُرْسِلَ

---

[1] ـــ سورة الذّاريات ، آية ٣ .

[2] ـــ سورة الرحمن ، آية ٢٤ .

[3] ـــ سورة القمر ، آية ١٣ .

[4] ـــ أساليب البيان : ٤١٠ .

[5] ـــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ٣٢ ـــ ٣٣

[6] ـــ سورة النجم ، آية ٥٣ .

عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾، والغرض في الشاهد الثاني (وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ) هو الإشارة إلى " أن القوم لا يُمكنهم صون أماكنهم عن عذاب الله تعالى " [1] .

وهناك ظاهرة أخرى في الكنايات عن موصوف في سور هذا الجزء وهي أنّ اللفظ المكنَّى به واحد والمعنى المكنَّى عنه واحد والغرض مختلف ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [3] .

فاللفظ المكنَّى به واحد : (لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) ، والمعنى المكنَّى عنه واحد : وهم المشركون من قريش وغيرهم [4] ، والغرض مختلف ، فالغرض في الشاهد الأول هو التهديد بعذاب في الدنيا وأنّه واقع ، والغرض في الشاهد الثاني هو التهديد بعذاب في الدنيا وعذاب أكبر في الآخرة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [5] ، وقوله : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [6] .

---

[1] ــ التفسير الكبير : ٢٩ / ٢٥ .

[2] ــ سورة الذّاريات ، آية ٥٩ .

[3] ــ سورة الطور ، ٤٧ .

[4] ــ انظر على سبيل المثال : تفسير الطبري : ٢١ / ٥٥٧ ، الكشاف : ٤ / ٢٢ ، البحر المحيط : ٨ / ١٤١ ، روح المعاني : ٢٧ / ٣٦ .

[5] ــ سورة النجم ، آية ٣١ .

[6] ــ سورة الحديد ، آية ١٠ .

فالمكنَّى عنه واحد (الجنة) ، والكلام مبني على تقدير موصوف محذوف " بالمثوبة الحسنى وهي الجنة " [1] ، واللفظ المكنَّى به واحد (الحسنى) والغرض مختلف ، فالغرض في الشاهد الأول هو أنه لما " ذكر جزاء المسيء قال (بِمَا عَمِلُوا) وحين ذكر جزاء المُحسن أتى بالصفة التي تقتضي التفضل وتدل على الكرم والزيادة للمُحسن " [2] ، والغرض في الشاهد الثاني هو الحث على الإنفاق .

ومن الظواهر الملحوظة في الكنايات عن موصوف في سور هذا الجزء : تآزر الكناية مع صورة أخرى لتقديم الغرض ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ[3] فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [4] .

(فالجواري المنشئات) كناية عن السفن التي ترفع قلوعها وهي تشق الأمواج في سرعة ، وفي هذه الكناية تذكير بنعمة الله سبحانه الذي سخر لها الرياح لتدفعها ، وفي تشبيه السفن بالجبال الضخمة إشارة إلى نعمته سبحانه في حفظها على الماء فلا تغوص على الرغم من ضخامتها وعلوها .

فقد تآزرت الكناية مع التشبيه للدلالة على تعدد نعم الله ، وهذا يتناسق وينسجم مع سياق سورة الرحمن التي تعددت فيها نعمه سبحانه ، وتآزرت الصياغة في الدلالة على هذا وذلك في تقديم المسند " له " تقديماً يفيد الاختصاص ، أي أنّ ذلك بقدرة الله وحده .

---

[1] ـــ انظر على سبيل المثال : الكشاف : ٤ / ٣٢ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٠ ، روح المعاني : ٢٧ / ٢٤٤ .

[2] ـــ البحر المحيط : ٨ / ١٦٢ .

[3] ـــ " يجوز أن يكون المنشئات مشتقاً من أنشأ السير إذا أسرع ، أي التي يسير بها الناس سيراً سريعاً . قال مجاهد : المنشئات التي رفعت قلوعها . والآية تحتمل المعنيين على القراءتين باستعمال الاشتقاق في معنيي المشتق منه ويكون في ذلك تذكيراً بنعمة إلهام الناس إلى اختراع الشراع لإسراع سير السفن وهي مما اخترع بعد صنع سفينة نوح " التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٥١ ـــ ٢٥٢ .

[4] ـــ سورة الرحمن ، آية ٢٤ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾[1] .

قوله : (لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) كناية عن المشركين من قريش وغيرهم ، وذكروا بهذه الصفة للدلالة على استحقاقهم العذاب بظلمهم ، وقوله : ﴿ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ تشبيه لقياس ما يقع بهم بما وقع للسابقين على سبيل التأكيد بأنّه واقع وهنا أجد أن الكناية قد تعاونت مع التشبيه للتهديد بعذاب الدنيا وأنّه واقع لا محالة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[2] .

فقوله : (بِأَعْيُنِنَا) كناية عن صفة الرعاية والحفظ[3] ، وقوله : (لِّمَن كَانَ كُفِرَ) كناية عن نوح عليه السلام[4] ، ومن الواضح أنّ الكناية الأولى من أجل الثانية ، فالرعاية والحفظ من أجل نوح عليه السلام ، والأولى تدل على شدة المحبة وشدة الرعاية لطفاً بنبي الله وتعويضاً له عما واجهه قومه به من الكفر والإيذاء ، فبينهما ارتباط شديد .

ومنه قوله تعالى :﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾[5] .

فالأولى : (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) كناية عن الحور العين ، أي " هُنّ النساء اللاتي قد قصر طرفهنّ على أزواجهن ، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال "[6] ، وقد كُني عنهن بالصفة المحببة الدالة على الحياء ، وأضاف إلى ذلك بطريق الكناية صفة أخرى محببة وهي البكارة ،

---

[1] ـــ سورة الذّاريات ، آية ٥٩ .

[2] ـــ سورة القمر ، آية ١٤ .

[3] ـــ انظر على سبيل المثال : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٦ ، إرشاد العقل السليم :٨ / ١٦٩ ، روح المعاني : ٢٧ / ١١٧ .

[4] ـــ البحر المحيط : ٨ / ١٧٦ .

[5] ـــ سورة الرحمن ، آية ٥٦ .

[6] ـــ انظر على سبيل المثال : تفسير الطبري : ٢٢ / ٢٤٥ ـــ ٢٤٦ ، الكشاف : ٤ / ٤٩ ، التفسير الكبير : ٢٩ / ١٣٠ ، حاشية الشهاب : ٩ / ٥٩ ، روح المعاني : ٢٧ / ١٦٨ .

وذلك لمزيد من الترغيب في الجنة ونعيمها في سياق التذكير بنعم الله تعالى ، وعلى هذا فإنّ تجاور الكنايتين إمّا لأن الثانية علة للأولى ، وإمّا لأنّ الكنايتين تتعاونان في تقديم صورة رائعة محببة ومرغبة في النعيم .

وهناك ظاهرة أخرى في الكنايات عن موصوف في سور هذا الجزء وهي : أنّه قد يُكنى عن الموصوف لأنّ الصفة حاضرة مرتبطة بموصوفها في أذهان المخاطبين ، وهذا نجده في سورة الحديد لأنّها مدنية وتُخاطب المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] .

فقوله : (حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) كناية عن الموت [2] ، وكُنّي بهذا اللفظ للدلالة على أنّه واقع حتماً ، مقضيٌّ لا ريب فيه ، ولا يتخلف ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [3] لأنّه أمر الله .

وقوله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [4] .

فقوله تعالى : (وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) كناية عن القرآن [5] ، وعبّر بالصفة التي تدل على وجوب الإيمان به ، صفة تستحث الناس للإيمان به وعدم الشك في تلقيه ، فهو حق يبطل الباطل ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ...﴿٤٢﴾ ﴾ [6] .

---

[1] ـــ سورة الحديد ، آية ١٤ .

[2] ـــ انظر : الكشاف : ٤ / ٦٤ ، البحر المحيط : ٨ / ٢٢١ ، روح المعاني : ٢٧ / ٢٥١.

[3] ـــ سورة الأعراف ، آية ٣٤ .

[4] ـــ سورة الحديد ، آية ١٦ .

[5] ـــ انظر : الكشاف : ٤ / ٦٤ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٧٤ ، روح المعاني : ٢٧ / ٢٥٤ .

[6] ـــ سورة فصلت ، آية ٤٢ .

ثانياً : الكناية عن صفة في جزء الذّاريات : ــ

أول ما يَلْفتنا في هذا النوع من الكناية أنّ الصفة التي كُنّي عنها ، قد تكون محبوبة مرغوبة كالكرم والصون والعفة والحفظ والتواصل ...الخ ، وقد تكون مذمومة منفرة كالفرار والهزيمة والذل والانخذال والعجز ... الخ ، والغاية من الكناية في الحالة الأولى تتعلق باللفظ المكنّى به لما فيه من ترغيب وتشويق ، وفي الحالة الثانية تتعلق بالصفة المكنّى عنها لأنّها مما لا يستحب التصريح به ، وتتعلق أحياناً بالمكنّى به إذا كان صورة مذمومة منفرة .

فمن الكناية عن الصفات المحبوبة المرغوبة ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [1] .

فقوله : (ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ) كناية عن القبول والرضا ، رضا الله عنهم (مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) ورضاهم عما أُعطوا (ءَاخِذِين) ، فالمعنى : " قابلين لما أعطاهم راضين به ، ومعناه أنّ كل ما أتاهم حسنٌ مرضيٌّ متلقّى بالقبول " [2] ، وعبّر عن الصفة بصورتها المحسوسة (الأخذ) ، وهذه الصفة تُبين ما يشعر به المؤمنون في الجنة مما يُشير إلى أنّهم أُعطوا الكمال [3] ، وفيه ترغيب لنيل ما نالوا ، وتتآزر الصياغة للترغيب وذلك في مجيء الكناية بصيغة اسم الفاعل الدال على استمرار الأخذ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [4] كناية عن الستر والصون والعفة ، فـ " (حور مقصورات) أي قصرن في أماكنهن والنساء تمدح بذلك إذ ملازمتهن البيوت تدل على صيانتهن كما قال أبو قيس بن الأسلت :

وتَكْسَلُ عَنْ جَارَاتِهَا فَيَزُرْنَهَا   وتَغْفُلُ عَنْ أَبْيَاتِهِنَّ فَتعْذَر

---

[1] ــ سورة الذّاريات الآيتان : ١٥ ــ ١٦ .

[2] ــ انظر على سبيل المثال : الكشاف : ٤ / ١٥ ، تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢١ ، روح المعاني : ٢٧ / ١٢ .

[3] ــ التحرير والتنوير : ٢٦ / ٣٤٧ .

[4] ــ سورة الرحمن ، آية ٧٢ .

قال الحسن : لسن بطوافات في الطرق ، وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ ، وقال عمر بن الخطاب هي در مجوف ورواه عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم " [1] وهذه الصفة محبوبة تُرغّب في الجنة .

ومن الكناية عن الصفات المذمومة قوله تعالى :﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [2] .

فقوله : (وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ) كناية عن الفرار مع الانهزام ، والمعنى قد ذُكر بصورته المذمومة وقرن بدليله وهو (تولية الدبر) أي الظهر وهو خِلافُ القُبُلِ [3] ، ولا شك أن مجيء الصفة بدليلها آكد وأبلغ في إثبات المعنى ، فالكناية هنا تعكس الخوف وتُبرز صورهم المخزية ، المذمومة ، المنفرة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [4] .

فقوله : (فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ) كناية عن العجز التام ، وعبّر عن المعنى بصورته المحسوسة الدالة عليه وهي عدم القدرة على القيام ، وذلك أبلغ وآكد في إثبات المعنى ، يقول الشهاب في نوع الصورة " فهو معنى مجازي ، أو كناية شاعت حتى التحقت بالحقيقة " [5] ، وأرى أن الأولى أن تكون كنايةً لا مجازاً وذلك لجواز إرادة المعنى الحقيقي، وهو عدم القدرة على القيام ، وهي تُصوّر العجز التام لثمود وما لحقهم بسبب تكذيبهم وتدور في إطار ما يغلب على السورة من التهديد والوعيد بيوم الدين .

---

[1] ـــ انظر : المحرر الوجيز : ١٥ / ٣٤٩ ـــ ٣٥٠ ، البحر المحيط : ٨ / ١٩٧ ، روح المعاني : ٢٧ / ١٧٥ .

[2] ـــ سورة القمر ، آية ٤٥ .

[3] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٣٠٦ .

[4] ـــ سورة الذّاريات ، آية ٤٥ .

[5] ـــ حاشية الشهاب : ٨ / ٥٩٩ ، روح المعاني : ٢٧ / ٢٦ .

وهناك ظاهرة أخرى نلحظها في الكنايات عن صفة في سور هذا الجزء بجلاء ألا وهي : اتحاد المعنى المكنَّى عنه واللفظ المكنَّى به والغرض مختلف ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾ [1] وقوله تعالى : ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [2] .

فقوله : (بِأَعْيُنِنَا) في الآيتين كناية عن الحفظ والرعاية والعناية ، فالمعنى المكنَّى عنه واحد واللفظ المكنَّى به واحد (بِأَعْيُنِنَا) ، وإنما الاختلاف بين الشاهدين في الغرض ، فالغرض في الشاهد الأول هو الدلالة على منتهى حب الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وطمأنته وأنه سبحانه يدعوه إلى الصبر لا عن عجز أو ضعف ، ولكن انتظاراً لحسن العاقبة. والغرض في الشاهد الثاني هو الدلالة على قدرة الله في حفظ سفينة نوح عليه السلام من التحطم وسط الأمواج العاتية ، لأنّها كانت مصنوعة من مواد ضعيفة " الألواح والدسر " .

بل ونجد لفظة (التولي) ذُكرت ست مرات كناية عن الإعراض ، والغرض مختلف في كل مرة لاختلاف المخاطب :

قال تعالى : ﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [3] .

(تَوَلَّى) كناية عن الإعراض [4] ، وهي تُصوّر موقف فرعون وإعراضه المتكبر .

وقوله تعالى :﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [5] .

---

[1] ـــ سورة الطور ، آية ٤٨ .

[2] ـــ سورة القمر ، الآيتان : ١٣ ـــ ١٤ .

[3] ـــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ٣٨ ـــ ٣٩ .

[4] ـــ انظر : نظم الدرر : ١٨ / ٤٦٩ ، روح المعاني : ٢٧ / ٢٤ .

[5] ـــ سورة الذّاريات ، آية ٥٤ .

فقوله : (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) كناية عن الإعراض ، لأنّ المعنى الحقيقي للتولي وهو الإدبار والانصراف [1] يجوز إرادته ، والمخاطب هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ ﴾ ، والمعنى هم " بُعداء عن أن تقنعهم الآيات والنذر فتولّ عنهم أي أعرض عن الإلحاح في جدالهم ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على إيمانهم ويغتمّ من أجل عنادهم في كفرهم فكان الله يُعاود تسليته الفَيْنة بعد الفيْنة " [2] ، فأمره بالإعراض عنهم رحمة به صلى الله عليه وسلم ، ولفظ الكناية أوكد في الدلالة على هذا ليحدث المطلوب بسرعة .

وقال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝ ﴾ [3] .

فقوله : (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) كناية عن الإعراض ، حيث يأمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن مجادلة كفار قريش لأنهم (قَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) ، وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتطمينه بأنّه لم يُقصِّر في أداء الرسالة ، وهي كالكناية السابقة في قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ﴾ [4].

في التحرير والتنوير : " الإعراض والتولي كلاهما مستعمل هنا في مجازه ، فأما الإعراض فهو مستعار لترك المجادلة أو لترك الاهتمام بسلامتهم من العذاب وغضب الله ،

---

[1] ـــ الصحاح : ٦ / ٢٥٢٩ ، لسان العرب : ٢٠ / ٢٩٦ .

[2] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٣ .

[3] ـــ سورة القمر ، آية ٦ .

[4] ـــ سورة النجم ، آية ٢٩ .

وأما التولي فهو مستعار لعدم الاستماع أو لعدم الامتثال ، وحقيقة الإعراض : لفت الوجه عن الشيئ لأنه مشتق من العارض وهو صفحة الخد لأن الكاره لشيئ يصرف عنه وجهه . وحقيقة التولي : الإدبار والانصراف " [1] .

وأرى أنّ (الإعراض والتولي) كناية لا استعارة ، وذلك لجواز إرادة المعنى الحقيقي كما ذهب لذلك الشهاب الخفاجي حيث قال في معنى قوله تعالى : (مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا) : " (من غفل عن الله ...) يعني ليس التولي عن ذكره تعالى على ظاهره بل هو كناية عما ذكر " [2] ، والكناية هنا عن إعراض القوم وهي تدل على إعراض نافر كما يبدو من اللفظ المكنّى به .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ ﴾ [3] أي " عن اتباع الحقّ والثباتِ عليه ... والأكثر على أنها نزلت في الوليد بن المغيرة " [4] ، والكناية هنا عن إعراض الوليد وهي تدل على إعراض الكاره .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [5] .

في قوله : (وَمَن يَتَوَلَّ) الخطاب للعامة " يعم (الذين يبخلون) وغيرهم " [6] ، والمعنى " من يعرض عن الإنفاق فإنّ الله غنيّ عنه وعن إنفاقه محمودٌ في ذاته لا يضرّه الإعراضُ عن شكره ولا ينفعه التقربُ إليه بشكر ... ، وفيه تهديد وإشعارٌ بأن الأمرَ

---

[1] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ١١٧ .

[2] ـــ حاشية الشهاب : ٩ / ١٤ .

[3] ـــ سورة النجم ، آية ٣٣ .

[4] ـــ تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٤٠ .

[5] ـــ سورة الحديد ، آية ٢٤ .

[6] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٤١٣ .

بالإنفاق لمصلحة المنفق "[1] وإنما كُنى هنا عن هذا المعنى بلفظ التولي ، لما فيه من صورة كريهة للمُعرض عن الإنفاق أو المُعرض عن الدعوة عموماً .

وهكذا رأينا كيف اتفق اللفظ المكنَّى به والمعنى المكنَّى عنه واختلف الغرض لاختلاف المخاطب .

ومما يُلاحظ على الكنايات عن صفة في سور هذا الجزء أنّ اللفظ المكنَّى به قد يكون مفرداً ، وقد يكون جُملة وهو الأكثر .

ومما جاء مفرداً قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ ﴾[2] .

فقوله : (نُّكُرٍ)كناية عن فظاعة يوم القيامة ، يقول الشهاب : " كناية عن شدة الفظاعة لأنه في الغالب منكر غير معهود "[3] ، والكناية في لفظة واحدة (نكر) ، وهي للتهويل والتخويف ، وبذلك تنسجم مع مقام السورة و هو تحذير وتهديد المكذبين بيوم الدين .

وقوله تعالى : ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥ ﴾[4] .

فهذه الظرفية (عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) " كناية عن الكرامة وشرف المنزلة "[5] ، والمعنى " مقربين عند مليك مبهم أمره في الملك والاقتدار فلا شئ إلا وهو تحت ملكه

---

[1] ـــ انظر على سبيل المثال : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٧٦ ، روح المعاني : ٢٧ / ٢٦٥ .

[2] ـــ سورة القمر ، آية ٦ .

[3] ـــ حاشية الشهاب : ٩ / ٢٨ ، روح المعاني : ٢٧ / ١١٢ .

[4] ـــ سورة القمر ، آية ٥٥ .

[5] ـــ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، علق عليه : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤١٢هـــ ـــ ١٩٩٢م ، ٥ / ١٨٣ .

وقدرته ، فأيّ منـــزلة أكرم من تلك المنـــزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها " [1] ، ويغلب على موضوعات سورة القمر بيان عواقب المكذبين بالرسل على سبيل التهديد للمكذبين بهذه الرسالة ولكن الكناية هنا لبيان حال وجزاء المتقين المصدقين بيوم الدين ليُقابل تصديقا بتكذيب مع الترغيب في مقابل الترهيب ، وكانت الكناية من وسائل الترغيب لأنّها تعكس الكرامة والمحبة للمتقين .

وقال تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [2] .

قوله : (فَأَعْرِضْ) كناية عن ترك الجدال أو الإلحاح مع من تولى وآثر الحياة الدنيا ، وهي كناية ناطقة ومصوّرة للمعنى المقصود ، وتقوي المعنى لأنّها لا تثبته ظـــاهراً مكـــشوفاً ولكن تذكره بصورته الدالة عليه والتي تجعله متحركاً مُؤثراً، وهنا وقع اللفظ المكنَّـــى بـــه مفرداً.

ومما جاء جُملة قوله تعالى : ﴿ ... لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾ [3] .

الطمث هو " دَمُ الحَيْض وَ الافتِضَاضِ ، والطامِثُ : الحائِضُ ، وطَمَـــثَ المَـــرْأَةَ : إذا افْتضّهَا " [4] ، وهذه الجُملة (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ) كناية عن البكـــارة ، والكناية تُقوي المعنى وتؤكده وتذكره باللفظ الذي يُرغّب في الجنة ويُذكّر بنعم الله ، وهذا ينسجم مع مقام سورة الرحمن وهو تعدد نعم الله والتقرير بها .

[1] ـــ الكشاف : ٤ / ٤٢ ، وانظر : تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٥٠ ، إرشاد العقل السليم : ٨ / ١٧٥ ، حاشية الشهاب : ٩/ ٤٢ .

[2] ـــ سورة النجم ، آية ٢٩ .

[3] ـــ سورة الرحمن ، آية ٥٦ و ٧٤ .

[4] ـــ مفردات ألفاظ القرآن : ٥٢٤ .

وقوله تعالى : ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ ﴾[1] ، الجُملة (خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ) كناية عن عظمة يوم القيامة ، فهي " تقرير لعظمتها عن طريق الكناية لأن من شأن الوقائع العظام كتبدل الدول ، وظهور الفتن أنه يذل فيها من كان عزيزاً ، ويعز من كان ذليلاً "[2] ، وقد كنّى بهذين الأمرين (خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ) لما فيهما من مزية لا تكون مع اللفظ المباشر؛ لأنّ ذلك اللفظ الكنائي يُوقع الرعب في القلوب فيغتم المستكبرون؛ لأن القيامة تخفضهم وتذلهم، ويستبشر المؤمنون؛ لأنّ القيامة ترفعهم درجات كبيرة .

وهناك ظاهرة تبدو بوضوح في الكنايات عن صفة في سور هذا الجزء وهي تآزر الكناية مع صورة أخرى لتقديم الغرض ، وذلك على ضروب متعددة :

أ ـــ تآزر الكناية مع كناية أخرى :

مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ ﴾[3] .

فقد سبق أنّ الأولى (فأعرض) كناية عن ترك الجدال وأنّ الثانية (تولى) كناية عن الإعراض ، وبين الكنايتين ارتباط من حيث إن إحداهما مترتبة على الأخرى ، إذ لما كان منهم التولي والرفض، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم وترك جدالهم فيما يعتقدون وما يزعمون من أن اللات والعزى ومناة بنات الله، وفي تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، والانهماك في الدنيا وتكذيب الوحي وكل ذلك مرتبط بمقام سورة النجم وهو بيان صدق الوحي ، والملاحظ أن كلاً من هاتين الكنايتين تشد أزر الأخرى في التعبير عن المعنى.

---

[1] ـــ سورة الواقعة ، آية ٣ .

[2] ـــ حاشية الشهاب : ٩ / ٦٥ .

[3] ـــ سورة النجم ، آية ٢٩ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾، وقوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾ [١]

ب ـــ تآزر الكناية مع التشبيه :ـــ

كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٢] .

في قوله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ " كناية عن قوة التواصل ، وشدة التلاحم والانسجام " [٣] ، وفي قوله : (فِىٓ أَهْلِنَا) " قيل : يحتمل أنه كناية عن كون ذلك في الدنيا ، ويحتمل أن يكون بياناً لكون إشفاقهم كان فيهم وفي أهلهم لتبعيتهم لهم في العادة " [٤] ، وفي قوله تعالى : (عَذَابَ ٱلسَّمُومِ) تشبيه عذاب جهنم بالسموم وهي الريح الحارة التي تدخل الأجسام بقوة وتؤثر تأثير السُمّ [٥] ، وذلك لبيان مِنّة الله وفضله في أن وقاهم بالإيمان من العذاب ، ولا يخلو من التهديد والتحذير لمن عاند وأعرض .

وهنا تتآزر الكناية مع التشبيه لتصوير مشهد من مشاهد يوم القيامة وهو إحساس المنعمين بالرضى والامتنان بالنجاة من النار ، وفيه تهديد المكذبين بالعذاب وهو غرض بارز في السورة .

وقوله تعالى : ﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [٦] .

---

[١] ـــ ينظر صفحة (١١٤) من هذا البحث .

[٢] ـــ سورة الطور ، الآيات : ٢٥ ـــ ٢٧ .

[٣] ـــ مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم (الأسماء المقترنة) ، نجلاء كردي ، ط ١، ١٤٢٣هـ ، ٦٢٦ .

[٤] ـــ انظر : حاشية الشهاب : ٨ / ٦١٢ ، روح المعاني : ٢٧ / ٥١ .

[٥] ـــ مقاييس اللغة :٣ / ٦٢ ، مفردات ألفاظ القرآن : ٤٢٤ .

[٦] ـــ سورة القمر ، آية ٧ .

فقوله تعالى : (خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ) كناية عن " الذلة والانخذال لأنّ ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيوهما " [1] ، وهذه الكناية تتضافر مع التشبيه في قولـــه : (يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ) لتصوير حال المكذبين المضطربة حين خروجهم من القبور من ناحية ولتأكيد البعث من ناحية أخرى فالكناية تُصوّر ذلّهم وانخذالهم، وعُبّر عن المعـــنى بصورته الدالة عليه يوم القيامة على سبيل التحذير من ذلك المصير المؤلم ، والتشبيه يُـــصوّر اكتظاظهم وتراكم بعضهم على بعض وكثرهم وتدافعهم من هول ذلك اليوم .

فالصورتان تشتركان في تقديم الغرض ، وتسلط كل واحدة منهما الـــضوء علـــى جانب أو حالة معينة بحيث تُعطيان في النهاية صورة كاملة لحال الخارجين من قبورهم يـــوم البعث .

ج ــ تآزر الكناية مع الاستعارة :

كقوله تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [2] .

فقوله : (فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ) كناية عن الكرم وفي وصف العجـــل بـــــ (السمين) دلالة على زيادة في الكرم ، وهذه الكناية تتداخل مع الاستعارة في قوله (فَرَاغ) بتشبيه ذهاب إبراهيم إلى أهله في خفية بالروغان، وذلك لتصوير أدب إبراهيم عليه السلام وكرمه وحرصه على مشاعر ضيوفه مع تقديم ذلك المعنى الخلقي في صورة حسيّة مثيرة لهـــا مالها من الأثر في النفس ، والملاحظ أنّ الاستعارة عنصر مفرد من عناصر جُملـــة الكنايـــة وذلك مما يعلي من شأن الكناية ويرقى بها درجات كبيرة ، ويجعلها أقوى في الدلالة علـــى المقصود ، واللافت أيضاً أنّ العطف بالفاء على الفعل راغ بقوله (فَجَاء ...) يتجاوب مـــع ما تدل عليه الاستعارة من حركة سريعة خفية ، وذلك كله مما يكسو الصورة ظلالاً مؤثرة.

---

[1] ــ انظر على سبيل المثال : الكشاف : ٤ / ٣٦ ، البحر المحيط : ٨ / ١٧٤ ، التحرير والتنوير : ٢٧ / ١٧٧ .

[2] ــ سورة الذّاريات ، آية ٢٦ .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝٤٠ ﴾ [1] .

ففي قوله : (فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ) استعارة تمثيلية للإعراض المستعلي بقوّته ، وقد تحقق معنى الإعراض وحده بعنصر من هذه الاستعارة التمثيلية وذلك عن طريق الكناية في الفعل (فَتَولى) ، واللافت هنا أنّ الكناية عنصر من عناصر الاستعارة التمثيلية ، وهذا يشد أزر المعنى المقصود وهو الإعراض سوى أن جملة التركيب المستعار لا تدل على مجرد الإعراض وإنما تضيف إلى هذا أنّه إعراض مستعلٍ بقوته متكبر بجنوده مستخِفٌّ بخصمه نبي الله، متّهِمٍ له في ازدراء (وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) ، ولهذا كانت العاقبة السريعة قوله تعالى بعده : ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝٤٠ ﴾ .

ومنه قوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ [2] .

فالكناية تتعاون مع الاستعارة ويأخذ بعضها برقاب بعض لإثبات أنّ الوحي ليس رؤية خاطفة أو إلهاماً ، وإنّما هو مؤانسة ومصاحبة بين جبريل والرسول صلى الله عليه وسلم ، أمّا الاستعارة في قوله : (فَتَدَلَّى) فإنها تُصوّر كيفية نزول جبريل وتعلقه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأمّا الكناية في قوله : (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) فإنها تصور القرب الشديد بينهما بدليل (قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) ، كل ذلك لتقديم أمر واحد وهو تمكن الوحي وصدقه ، واستيعاب الرسول صلى الله عليه وسلم لتفاصيله ، وهذا موضوع بارز في سورة النجم .

[1] ـــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ٣٩ ـــ ٤٠ .

[2] ـــ سورة النجم ، الآيتان : ٨ ـــ ٩ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾[1] .

ففي قوله تعالى : (عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) " كناية عن هلاك قوم نوح "[2] بالطوفان ، وفي التعبير بلفظ (أمر) تهويل ، و (قَدْ قُدِرَ) يعني لا مناص من وقوعه ، وفي قوله : (فَالْتَقَى الْمَاء) استعارة الالتقاء لاجتماع ماء السماء مع ماء الأرض ، والصورتان تتآزران لتصوير كيفية هلاك قوم نوح تصويراً يُحرك مشاعر الخوف والرهبة والقوة والقدرة ، وذلك كله مرتبط بمقام السورة وهو تحذير وتهديد المكذبين بيوم الدين .

ومما تآزرت فيه الكناية مع الاستعارة قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾[3].

فقوله : (أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ) و (وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ) كناية عن العدل ، وهي تتآزر مع الاستعارة قبلها (وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ) في إشاعة جو العدل ، وتصبان في الموضوع العام من السورة وهو تعدد نعم الله والتقرير بها .

ولسائل أن يسأل : هل لفظ (الْمِيزَانَ) الذي ذكر ثلاث مرات معناه واحد ، وإذا كان الجواب بنعم ،فلماذا لم يذكر بضميره في المرة الثانية والثالثة ؟

وجواب ذلك أنّ العلماء قد اختلفوا ، فمنهم من يرى أنّ لكل ميزان معنى غير معنى الآخر ، بل وفي ذلك المعنى اختلفوا فذهب الخطيب الإسكافي إلى أنّ " الميزان الأول بنية

---

[1] ــ سورة القمر ، آية ١٢ .

[2] ــ وهو ما رجحه أبو حيان ، وعلّل لذلك بقوله : " لأن كل قصة ذكرت بعد هذه القصة ذكر الله هلاك مكذبي الرسل فيها ، فيكون هذا كناية عن هلاك قوم نوح ولذلك ذكر نجاة نوح بعدها في قوله : (وحملناه على ذات ألواح ودسر) " . البحر المحيط : ٨ / ١٧٥ ــ ١٧٦ .

[3] ــ سورة الرحمن ، الآيات : ٧ ــ ٩ .

الاعتدال وهي بنية الإنسان ، والميزان الثاني الحكم بالعدل ، والثالث آلة التعديل وهي الـــتي يقع بها الأخذ والعطاء " [1] ، وذهب الكرماني إلى أنّ الميزان " الأول : ميزان الدنيا ، والثاني: ميزان الآخرة ، والثالث : ميزان العقل ، وقيل : نزلت مفرقة فاقتضى الإظهار " [2].

ومنهم من يرى أنّ الميزان معناه واحـــد ولم يـــضمر إمّـــا للاهتمـــام والاعتنـــاء كالغرناطي " [3] ، أو للتوكيد كبدر الدين بن جماعة [4] .

وكل الآراء صحيحة لعدم التنافي بينها ، وهي تدل علـــى ثـــراء اللفـــظ القـــرآني وغزارة دلالته .

ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾[5] .

فالاستعارة في قوله : (يَسْعَىٰ نُورُهُم) والكناية في قوله : (بَيْنَ أَيْدِيهِم) عن الأمام مع القرب كلاهما يصبان في غرض واحد هو تكريم المنفقين في سبيل الله ، وذلك للحث والترغيب في الإنفاق الذي يغلب على موضوعات سورة الحديد .

---

[1] ـــ درة التتريل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط ١ ، ١٤١٦هـــ ـــ ١٩٩٥م ، ص ٢٦٥ ـــ ٢٦٦ .

[2] ـــ البرهان في متشابه القرآن ، محمود بن حمزة الكرماني ، تحقيق : أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ٢، ١٤١٨هـــ ـــ ١٩٩٨م ، ص ٣٠٦ ، وفتح الرحمن ـــ شرح ما يلتبس من القرآن ـــ ، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ، قرأه وعلق عليه يحيى مراد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤هـــ ـــ ٢٠٠٣م ، ص ٢٨٦ .

[3] ـــ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللّفظ من آي التتريل ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، تحقيق : سعيد الفلاّح ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٣هـــ ـــ ١٩٨٣م ، ٢ / ١٠٨٥ ـــ ١٠٦٠ .

[4] ـــ كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، بدر الدين بن جماعة ، تحقيق : عبد الجواد خلف ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤١٠هـــ ـــ ١٩٩٠م ، ص ٣٤٧ .

[5] ـــ سورة الحديد، آية ١٢ .

فالاستعارة للإشارة إلى أنّ النور كأنه قد تشخص ، وأنه مسرور بهم ، يتقدمهم ليُضيء لهم ، والكناية للدلالة على تكريمهم وتنعيمهم خصوصاً أن النور أُسند إليهم فـ " إضافة " نور " إلى ضميرهم وجعلُ مكانه من بين أيديهم وبأيمانهم يُبين أنه نور لذواتهم أُكرموا به " [1] ، وقد نبه الزمخشري إلى سر التعبير باللفظ (بين أيديهم) وكذلك التعبير (بأيمانهم) فقال : " لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم ، فجعل النور في الجهتين شعاراً لهم وآية " [2] .

ومما تآزرت فيه الكناية مع الاستعارة قوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [3] .

اشتركت الاستعارة التهكمية والكناية في قوله تعالى : (مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ) لتصوير جزاء المنافقين وذلك للردع والاعتبار ، فالاستعارة في (مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ) بتشبيه مكان النار بالمكان الذي يرتاح فيه الإنسان تهكماً وسخرية بهم ، ومن وراء هذا المجاز تأتي الكناية وتضيف معنى آخر في الجزاء وهو الدوام والاستمرار والخلود ، يقول ابن عاشور : " المأوى : المكان الذي يؤوى إليه ، أي يُصَار إليه ويُرجع ، وكنى به عن الاستمرار والخلود " [4] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [5] .

---

[1] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٨٠ .

[2] ـــ انظر على سبيل المثال : الكشاف : ٤ / ٦٣ ، البحر المحيط : ٨ / ٢٢٠ ، روح المعاني : ٢٧ / ٢٤٧ .

[3] ـــ سورة الحديد ، آية ١٥ .

[4] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٨٩ .

[5] ـــ سورة الحديد ، آية ٢١ .

في قوله : (سَابِقُوا) استعارة بتشبيه التقدم لفعل الطاعـــات والأعمـــال الـــصالحة للوصول إلى مغفرة الله بـــ " من يُسابق غيره إلى غاية فهو يحرص على أن يكون المجلّي " [١] ، ووراء الاستعارة " كناية عن المنافسة " [٢] ، ومما يُؤكد الكناية صيغة المفاعلة .

ووقعت الصورتان بعد التحذير من الاغترار بالدنيا والدعوة للاستعداد للآخـــرة ، ولا شك أنّ المسابقة للمغفرة من وسائل الاستعداد للآخرة .

ويفرق البقاعي بين (سَارعوا) في سورة آل عمران ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [٣] وبين (سابقوا) في سورة الحديد ويبين مدى ملائمة كل لفظة لسياقها فيقول : " (سابقوا) أي افعلوا في السعي لها بالأعمال الصالحة حق السعي فعل من يُسابق شخصاً فهو يسعى ويجتهد غاية الاجتهاد في سبقه ، ولكن ربما كان قرينه بطيئاً فسار هويناً ، وأما المسارعة فلا تكون إلا بجهد النفس من الجانبين مع السرعة في العرف ، فآية آل عمران الآمرة بالمسارعة الأخص من المسابقة أبلغ لأنها للحث على التجرد عن النفس والمال وجميع الحظوظ أصلاً ورأساً ، ولذلك كانت جنتها للمتقين الموصوفين ، وأما هذه ففي سياق التصديق الذي هو تجرد عن فضول الأموال ولذلك كانت جنته للذين آمنوا " [٤] ، ولعلّ الإمام البقاعي لا يقصد أن أحد اللفظين أبلغ من الآخر بدليل أنّه ربط كل لفظ بسياقه .

---

[١] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٤٠٧ .

[٢] ـــ المرجع نفسه .

[٣] ـــ سورة آل عمران ، آية ١٣٣ .

[٤] ـــ نظم الدرر : ١٩ / ٢٩٢ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] .

نظر ابن عاشور للمعنى اللغوي "للإرسال" والذي يقتضي مرسلاً منه ومرسلاً إليه، فيكون في الآية الكريمة استعارة بتشبيه "الناقة" بشاهد ثم حُذف المشبه به وأتى بشئ من لوازمه : (الإرسال) على سبيل الاستعارة المكنية ، يقول : " الإرسال مستعار لجعلها آية لصالح ، وقد عُرِف خَلْق خوارق العادات لتأييد الرسل باسم الإرسال في القرآن كما قال تعالى : " وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا " فشبهت الناقة بشاهد أرسله الله لتأييد رسوله "[2] .

وعندي أن المعنى لا يقف عند هذا الحد ، فالشهاب الخفاجي والألوسي نظرا للإرسال على أنه من المعاني اللغوية للبعث ، فتكون في اللفظة " كناية عن الإخراج ، وأن المعنى الحقيقي الذي هو البعث مراد أيضاً "[3] .

ولا تعارض بينهما فكل واحد نظر من زاوية محددة ، فهي كناية قائمة على المجاز ، وتدور في إطار ما يغلب على السورة من تهديد ووعيد بيوم الدين .

[1] ـــ سورة القمر ، الآيات : ٢٣ ـــ ٢٧ .

[2] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ١٩٩ .

[3] ـــ حاشية الشهاب : ٩ / ٣٥ ، روح المعاني : ٢٧ / ١٢٦، وقارن بـــ تفسير الطبري: ٢٢ / ١٤١ ، الكشاف : ٤ / ٣٩، وانظر : مفردات ألفاظ القرآن ص ١٣٢ و ٣٥٢ ، البحر المحيط :٨ / ١٧٩ ، وإرشاد العقل السليم : ٨ / ١٧٢.

تعقيب :

ذُكر من أقسام الكناية في سور هذا الجزء : الكناية عن موصوف ، والكناية عن صفة ، ولم نجد الكناية عن نسبة ، وفي ذلك دليل على أنّ الصورة في القرآن الكريم ليست غاية في ذاتها وإنّما وسيلة لتقديم الأغراض الدينية والخلقية ، ولهذا تقتصر على ما يُحقق الغرض .

ولعلنا نلحظ بعد ما سبق أنّ الكناية عن موصوف والكناية عن صفة تشتركان في ظواهر متعددة وهي :ـــ

أ ـــ أن اللفظ المكنّى به قد يكون مفرداً وقد يكون جُملة ، ويغلب المفرد في الكناية عن موصوف ، والجُملة في الكناية عن صفة .

ب ـــ أنّ الكناية قد تُكرر ألفاظها الدالة على معنى واحد والغرض مختلف ويكثر هذا في الكناية عن صفة .

ج ـــ تآزر الكناية مع صورة أخرى لتقديم الغرض ، ويكثر في الكناية عن صفة .

وقد انفرد كل نوع منهما بظواهر معينة :ـــ

أ ـــ في الكناية عن موصوف : المكنّى عنه قد يكون عنصراً من عناصر الحياة ، وقد يُكنّى عن الموصوف لأنّ الصفة حاضرة مرتبطة بموصوفها في أذهان المخاطبين ، وقد يتعدد اللفظ المكنّى به والمكنّى عنه واحد .

ب ـــ الكناية عن صفة : قد تكون هذه الصفة محبوبة مرغوبة ، وقد تكون مذمومة منفرة .

وكل هذا يحدث نوعاً من التوازن في هذا الجزء .

الفصل الرابع :
فروق بين أساليب البيان عن المعنى الواحد في جزء الذّاريات

فروق بين أساليب البيان عن المعنى الواحد في جزء الذّاريات :

في هذا الفصل سأقوم بدراسة الفروق بين أساليب البيان في جزء الذّاريات ، فـأتتبع المعاني المشتركة التي تعددت صورها وأساليبها من سورة لأخرى ، ووقوع المعنى مصوّراً تارة وحقيقة تارة أخرى ، مع ربط كل هذا بالمقامات والأغراض .

وسنرى من خلال هذا الفصل أن الصورة من مقتضيات النظم ، ولا تدرس بعيداً عنه فـ " المعاني التي هي " الاستعارة "، و"الكناية " و" التمثيل "، وسائر ضروب " المجاز " من بعدها من مُقْتَضَيَاتِ " النظم " وعنه يحدث وبه يكون ، لأنه لا يُتَصوَّر أن يدخل شَيْءٌ منها في الكَلِم وهي أفرادٌ لم يُتوخَّ فيما بينها حكمٌ من أحكام النحو. فلا يُتصوّر أن يكون هاهُنا " فعل " أو" اسم " قد دخلته الاستعارةُ ، من دون أن يكون قد أُلّف مع غيره " [1] .

كما سنُلاحظ مدى ترابط الدلالات وتآزرها مع دلالة الصورة لإثراء المعنى وتوكيده بل مدى تلاحمها في سبيل تشكيل الصورة وتوضيح معناها ، فـ " دراسة الصياغة ودلالات التراكيب ينبغي أن تكون مقدمة لدراسة كل صورة من صور البيان ، لأنها هي الخطوط التي تتكون منها هذه الصورة " [2] ، فلن ندرك الفروق بين أساليب البيان عن المعنى الواحد ما لم نبرز دور عناصر النظم ومدى تفاعلها مع الصورة لتقديم المعنى والغرض .

أولاً : ما اتفق معناه [3] وتعدد أسلوبه وطريقة التعبير عنه :ـ

قد يتفق المعنى وتتعدد طريقة التعبير عنه لاختلاف الغرض كما في قوله تعالى : ﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝ ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ ﴾ [5] ،

---

[1] ـ دلائل الإعجاز : ٣٩٣ .

[2] ـ التصوير البياني ، محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط ٤ ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ، ص ٧٠ .

[3] ـ المقصود ما اتفق أصل معناه ، فإذا تعددت طرق التعبير عنه كان لكل طريق خصوصية في المعنى (من توجيهات المشرف)

[4] ـ سورة الذّاريات ، آية ٣ .

[5] ـ سورة القمر ، آية ١٣ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] .

فالمعنى المكنّى عنه في الآيات الثلاث واحد وهو (السفن) وقد اختلفت طريقة التعبير عنه لاختلاف الغرض ، ففي الذّاريات وقعت الصورة بصيغة اسم الفاعل الدال على استمرار حركة السفن (فالجَاريات يُسْراً) وبذلك ينسجم مع الغرض وهو بيان قدرة الله التي تتجلى في تحريك السفن وجريها على الماء ، وفي القمر يقوم التركيب الكنائي على الجُملة الفعلية (وحَمَلناه) ثم مكملات الجُملة (عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ) ليتناسب مع الغرض وهو بيان نعمة هداية الله لنوح عليه السلام ليصنع سفينة ضخمة من أدوات ضعيفة[2]، وفي الرحمن نُلاحظ بأن التركيب الكنائي في قوله : ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ ﴾ يُخالف الترتيب الطبيعي للجُملة الاسمية ـــ التي تقتضي تقديم المسند إليه على المسند ـــ فقُدّم المسند (له) على المسند إليه (ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ) لغرض بلاغي هو إفادة الحصر والتخصيص ، فالله وحده القادر على جعل السفن تجري في البحر جرياً يسيراً ، وهذا يتناسب مع الغرض في سورة الرحمن وهو التذكير بنعم الله في الكون والتي لا يستطيع أحد أن يدعي مشاركة الله في خلقه إياها .

ووردت الصفة في الذّاريات بجمع المؤنث السالم (الجاريات) وفي الرحمن بجمع التكسير (الجواري) لأن في مقام الامتنان بالنعمة والتذكير بها تشتد الحاجة للجمع الدال على الكثرة فوقع جمع التكسير ، في حين أنه في الذّاريات مجرد قسم لتعظيم القدرة و " كأنّه استدل باقتداره على هذه الأشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث " [3] لذا ناسبه جمع المؤنث السالم ، فاختلف الجمع لاختلاف المقام ، وزيد التشبيه في

---

[1] ـــ سورة الرحمن ، آية ٢٤ .

[2] ـــ أساليب البيان : ٤١٠ .

[3] ـــ تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٢١ .

الرحمن ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ لحاجة المقام كذلك وهو الامتنان بالنعمة والتذكير بها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ [2] .

المعنى المكنّى عنه في الآيتين واحد وهم قوم لوط ، والتعبير مختلف ، ففي الـذّاريات عبّر عنهم بـ (قوم مجرمين) للدلالة على استحقاقهم العذاب (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ) ، وفي النجم بـ (ٱلْمُؤْتَفِكَةَ) " باسم الموضع ليعلم أن القـوم لا يمكنـهم صـون أماكنهم عن عذاب الله تعالى " [3] ، واعتمد على النظم لإبراز هذا الغرض، فقُدِّم المفعول به (ٱلْمُؤْتَفِكَةَ) على الفعل (أَهْوَىٰ) لغرض بلاغي هو أهمية المُقدّم فهو موضع الاعتبار والعظة وتقديمه ليتوافق مع الآيات السابقة وبعد مراعاة الجانب المعنوي يأتي الجانب اللفظي وهـو مراعاة الفاصلة ، فالفواصل متفقة في الصيغة (أفعل التفضيل) وإن اختلفت القافية .

وقد يتفق المعنى والغرض وتتعدد طرق التعبير عنهما حسب مقام كـل سورة وسياقها وجوها، وذلك في المعاني التالية :

١ ــ قصص هلاك الأقوام المكذبة بأنبيائها بين الـذّاريات والقمـر للتحـذير والإنذار :

---

[1] ــ سورة الذّاريات ، الآيات : ٣١ ــ ٣٣ .

[2] ــ سورة النجم ، الآيات : ٥٠ ــ ٥٣ .

[3] ــ التفسير الكبير : ٢٩ / ٢٥ .

أ ـ قوم نوح عليه السلام :ـ

قال تعالى في الذّاريات : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1] ، وقال تعالى في القمر : ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾[2] .

جاء الحديث عن قوم نوح مُجملاً في الذّاريات ليتناسق مع الصياغات الموجزة لأحوال الأقوام المكذبة في هذه السورة ، فالقصص في الذّاريات " إشارة إلى تصديق وعد الله الذي أقسم عليه في أول السورة : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ ﴾والذي أشار إليه في ختامها إنذاراً للمشركين : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ ﴾ "[3] ، ووقع مُفصلاً في القمر بالقياس إلى إجمال الذّاريات لأن سورة القمر نزلت أولاً[4] ولِمَا في التفصيل من تخويف ينسجم مع مقام السورة وهو تحذير وتهديد المكذبين بيوم الدين .

وفي القمر اعتمد على الصور البيانية لتقديم المعنى والغرض بشكل لافت حتى إنه لا تكاد تخلو آية من ذلك للتوضيح وإزالة الإبهام ، فالصُّور البيانية تترابط لتوضيح المعنى وتوكيده .

---

[1] ـ سورة الذّاريات ، آية ٤٦ .

[2] ـ سورة القمر ، الآيات : ٩ ـ ١٥ .

[3] ـ في ظلال القرآن : ٢٧ / ٩ .

[4] ـ البرهان في علوم القرآن : ١ / ١٩٣ .

ب ـ قوم هود عليه السلام :ـ

قال تعالى في الذّاريات : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] ، وقــال تعــالى في القمــر : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[2] .

المعنى والغرض واحد وهو هلاك قوم هود للتحذير والإنذار ، ولكن صور الريح عن طريق الاستعارة (العقيم) في الذّاريات ولم يصور في القمر ، كما شبّه الهالكين بالرميم في الأولى وبأعجاز النخل المنقعر في الثانية وذلك لاختلاف المقام ، ففي الـذّاريات أراد بـــ (العقيم) أي " التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهــي ريــح الهــلاك "[3] ووصفها يعكس أنها ريح شر بــدليل : (مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) ـــ أي لا تأتي على شئ من شجر أو ناس أو غير ذلك إلا جعلته بالياً متفتتاً ـــ ، والعقــم كان مرتبطاً في أذهان بعض العرب بالتشاؤم وهذا مقصود في إطار التهديد والوعيد الــذي يسود السورة ، وقد تعاون النظم و التصوير لتقديم هذا المعنى والغــرض ، فقُــدّم الجــار والمجرور(عليهم) ـــ في قوله تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ ـــ على المفعول به (الريح) لغرض بلاغي هو اختصاصهم بتلك الريح فهي عليهم لا على غيرهم وهم منفردون بها وهذا أقوى في التحذير والإنذار ، وأُلاحظ تكرار هذا الأسلوب في جميع مواطن العذاب لأن فيه من خلال التخصيص والتفرد مزيد تحذير وتهديد وإنذار ، وعُــرّف الريح بـــ (أل) ليكسب مدخوله ضرباً من التعيين والتحديد فتقــع صــورته في الــذهن

---

[1] ـــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ٤١ ـــ ٤٢ .

[2] ـــ سورة القمر ، الآيات : ١٨ ـــ ٢٠ .

[3] ـــ الكشاف : ٤ / ١٩ .

ويتحقق الغرض وهو التحذير والإنذار ، ثم إنه لم تعطف جُملة (مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) على الجُملة الأولى : (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) لأنها بيان وتوكيد لمضرة تلك الريح ، فهي بمنزلة الإعادة بل إنها أقوى في الدلالة على المضرة والتحذير والإنذار ، ووقعت الصورة التشبيهية بأسلوب القصر وبالنفي والاستثناء لتأكيد تفتت وتحلل ما أتت عليه الريح تماماً ، ووقع الفعل بصيغة المضارع (تذر) لاستحضار الصورة المنفرة المخوفة والمحذرة ، ثم تأمل قوله : (مِن شَيْءٍ) الدال على العموم أي كل شئ وما في ذلك من تحذير كبير .

وفي القمر وصف الريح بالصرصر " والريح الصرصر : الباردة العنيفة . وجرس اللفظ يصور نوع الريح " [1] ، فهي ريح عنيفة لها صوت يبعث الخوف والرعب وهذا مقصود في هذه السورة ، والتشبيه في قوله : ﴿ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ يصور كيفية انتزاعهم وأنه كان نزعاً عنيفاً يتناسب مع تشبثهم وركونهم لأشياء تحميهم ، وهي صورة منفرة مفزعة كباقي صور الهلاك في سورة القمر لتحذير وتهديد المكذبين بيوم الدين ، وقد تآزر النظم مع التصوير لتقديم المعنى والغرض فقُدِّم كذلك الجار والمجرور (عليهم) ــ في قوله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ ــ على المفعول به (ريحاً) لتخصيصهم بتلك الريح ، ونُكّر (ريحاً) للتهويل والتخويف ، ولم تعطف جُملة (تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ) على الجُملة الأولى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ) لأنها بيان لما تفعله الريح بهم على سبيل الزجر لسائر المكذبين .

---

[1] ــ في ظلال القرآن : ٢٧ / ٨٩ .

هـ. قوم صالح عليه السلام :.

قال تعالى في الذّاريات : ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]، وقال تعالى في القمر : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

المعنى والغرض واحد وهو هلاك قوم صالح للإنذار والتحذير ، ولكن في الذّاريات يعرض عتوهم وعقابهم في إيجاز شديد يتناسب مع إجمال غيرها من قصص في هذه السورة مع الاعتماد على النظم للدلالة على معانٍ مقصودة ، فقد ورد لفظ (ربهم) في قوله : (فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) معرفاً ووسيلة تعريفه الإضافة لتوبيخهم فقد عتوا واستكبروا عن مَنْ رباهم وخلقهم ، كما ورد لفظ (الصاعقة) معرفاً ووسيلة تعريفه بـ (أل) للدلالة على أنها صاعقة معهودة معروفة مشهورة ليس هناك من لم يعرف خبرها وفي هذا تحذير وتهديد لأمثالهم ، وفي قوله تعالى : (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ..) كناية عن العجز التام ، وبذلك تتعاون وسائل النظم مع التصوير لرسم عقاب قوم صالح والتحذير منه .

أمّا في سورة القمر فقد فصّل إعراض قوم صالح وكفرهم بآية الله إليهم وقتل الناقة وهو تفصيل بالقياس إلى إجمال سورة الذّاريات ، وقد اعتمد على النظم في تقديم موقف القوم والرد عليه ، إذ تعاقب أسلوب الاستفهام الإنكاري لتعدد ما ينكره القوم ، فقد أنكروا أن يكون الرسول بشراً مع تقدم المفعول (بشراً) لوقوع الإنكار عليه (أَبَشَرًا مِّنَّا

---

[1] ـــ سورة الذاريات ، الآيات : ٤٣ ـــ ٤٥ .

[2] ـــ سورة القمر ، الآيات : ٢٣ ـــ ٣١ .

وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ) ثم أنكروا أن يخصه الله من بينهم بالنبوة (أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا)وهذا وذاك يتضمن تكذيب نبيهم عن طريق التلميح لكنهم انتقلوا من التلميح إلى التصريح في قوله : ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ ، يقول عبد القاهر في سر إنكار المفعول الذي سبق في قوله تعالى على لسانهم (أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ) " لأنهم بنوا كفرهم على أن من كان مثلهم بشراً ، لم يكن بمثابة أن يُتّبع ويُطاع ، ويُنْتَهى إلى ما يأمُر ويُصدّق أنه مبعوث من الله تعالى ، وأنهم مأمورون بطاعته "[1] ، والعذاب ذُكر مُجملاً (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) ثم فُصل في قوله تعالى : (إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ) وبنيت الصورة التشبيهية على تقديم الجار والمجرور (عليهم) على المفعول به (صيحة) لإفادة الاختصاص ، ونكر (صيحة) للتهويل والتعظيم ، ثم تأمل قوله : (واحدة) وما يُسهم به من توكيد الغرض ، فوسائل النظم تتآزر مع الصورة البيانية في سبيل تقديم المعنى والغرض .

وعند المفسرين نجد أنّ الصاعقة بمعنى الصيحة [2] إلا أنّه عند العودة إلى الأصل اللغوي للكلمتين نجد الصاعقة هي " نارٌ لا تمرّ بشئ إلاّ أحرقته مع وقع شديد " [3] ، والصيحة من " صاح صيحة شديدة ، وصاح به وصَيّحَ به وصايحه : ناداه ، وصِحْ لي بفلان: ادعُه لي ، وتصايحوا: صاحوا ، وتصايحوا : تدَاعوْا " [4] ، والجمع بين العذابين يدل على أنهم أهلكوا بالأمرين معاً فالصاعقة نزلت أولاً ، وتبعتها الصيحة كصدى وقع النار ، فالصيحة تابعة لها ومترتبة عليها ، والله تعالى أعلم .

---

[1] ـــ دلائل الإعجاز : ١٢٢ .

[2] ـــ انظر على سبيل المثال : البحر المحيط : ٨ / ١٣٩ ، نظم الدرر: ١٦ / ٤٧٢ ، روح المعاني : ٢٧ / ٢٦ ، التحرير والتنوير : ٢٧ / ٢٠٢ .

[3] ـــ أساس البلاغة : ٣٥٥ .

[4] ـــ المصدر السابق : ٣٦٧ .

وذكرت (الصيحة) في القمر لتُناسب ما قبلها (فنادوا صاحبهم) ، وتدل على أن " صياح الهلاك غطى على صياح بعضهم على بعض " [1] .

د ـ قوم لوط عليه السلام :

قال تعالى في سورة الذّاريات : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝ ﴾ [2] ، وقال تعالى في سورة القمر : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ۝ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝...فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝ ﴾ [3].

المعنى والغرض واحد وهو هلاك قوم لوط للتحذير والإنذار ، ولكن لماذا ذكر قوم لوط باسمهم في القمر وبصفتهم في الذّاريات ، ولماذا اختلف التعبير عن العذاب في السورتين ؟ .

في الذّاريات اعتمدت قصة لوط على أسلوب الحوار بين إبراهيم عليه السلام والمرسلين إليه من ملائكة الله عليهم السلام فبدأت بسؤال إبراهيم سؤالاً حقيقياً لكنه مقرون بالترقب والاستشراف (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ) وجاء جوابهم يتضمن هلاك قوم لوط ويعتمد على وسائل النظم والتصوير التي تبرز كيفية هذا الهلاك ، فلما كان سؤال إبراهيم عليه السلام مشحوناً بالدهشة والترقب أكدوا جوابهم (إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ) وقد كنوا عن قوم لوط بـ (قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ) للتعليل بداية بما يأتي بعده من عذاب وهلاك

[1] ـ نظم الدُّرر : ١٩ / ١١٢ (بتصرف) .
[2] ـ سورة الذّاريات ، الآيات : ٣١ ـ ٣٧ .
[3] ـ سورة القمر ، الآيات : ٣٣ ـ ٣٩ .

(لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ) وهذه الجُملة الفعلية تقوم على تقديم الجار والمجرور (عليهم) على المفعول به (حجارة) للاختصاص ، وفي هذا الاختصاص طمأنة لإبراهيم عليه السلام الذي كان قلقاً من وجودهم فبينوا له أنهم أُرسلوا لقوم مجرمين لهلاكهم وحدهم بحجارة من طين تُرسل عليهم خصوصاً دون غيرهم فلن يُؤذي غير هؤلاء المجرمين ، وفي القمر ذكر قوم لوط باسمهم (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ) في حين أنهم ذكروا في الذّاريات بصفتهم لأن سورة القمر نزلت قبل سورة الذّاريات فصرّح باسمهم ثم كنّى عنه ، فالقرآن تترابط قصصه ويكمل بعضها بعضا .

واختلف التعبير عن العذاب ففي الذّاريات قال تعالى : ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ وفي القمر قال عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ ، واختلاف التعبير لغرضين أساسيين : ـــ

الغرض الأول : قال تعالى في الذّاريات(مِّن طِينٍ) لبيان أصل الحجارة ومادتها ، وفي القمر (حاصباً) تدل على وقعها كما يشير سيد قطب رحمه الله ، حيث قال : " الحاصب : الريح تحمل الحجارة . وفي مواضع أخرى ورد أنه أرسل إليهم حجارة من طين . ولفظة الحاصب ذات جرس كأنه وقع الحجارة ، وفيه شدة وعنف تُناسب جو المشهد " [1] .

الغرض الثاني : مناسبة كل واحدة لسياقها ، في الذّاريات : (حِجَارَةً مِّن طِينٍ) مناسبة لما بعدها من الوصف بـ (مُسَوَّمَةً) أي مُعلّمة على هيئة خاصة تتجه إلى شخص بعينه ولأنها من طين يُمكن تشكيلها ، وفي القمر لفظ (حاصب) فيه شدة وعنف يتناسب مع جو السورة ومقامها وهو تحذير وتهديد المكذبين بيوم الدين .

[1] ـــ في ظلال القرآن : ٢٧ / ٩٣ .

هـ- قوم موسى عليه السلام :-

قال تعالى في الذّاريات : ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] ، وقال تعالى في القمر :﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[2] .

جاء العرض موجزاً في السورتين يتضمن الإرسال أو المجيء والتكذيب والانتقام ، سوى أن هناك اختلافاً في البيان والصياغة إلى حد ما حسب مقام كل سورة ، ففي الذّاريات بدأ قصة موسى بما بدئت به سواها من القصص (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا...) و (وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ...) الخ وفي القمر كذلك ، ومن نواحي الاختلاف أنه لما ذكر موسى في الذّاريات عقب عليه بالتولي واتّهام فرعون له بالسحر والجنون ، ولما لم يذكر اسم موسى في القمر خلت من هذا الاتهام ، ولما ذكر الإرسال في الذّاريات تعدى إلى ما يؤيده بالآية والبرهان الذي عبر عنه بالاستعارة (بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) للدلالة على قوة الحجة وعظمة الآية بحيث لا يرفضها إلا مكابر ، ولقد كان فرعون كذلك (فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ) وتطاول واتهم (وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) ويقابله في سورة القمر (كَذَّبُوا) ولما كان المرسل هو موسى عليه السلام إلى فرعون في الذّاريات قال فيها (فَأَخَذْنَاهُ) لكن لما كان المرسل في القمر هم (النُّذُرُ) إلى (آلَ فِرْعَوْنَ) قال (كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ) ، وكون هذا الأخذ أخذ عزيز مقتدر يدل على شدة الأخذ ويدل على شدة العتو والاستكبار

---

[1] ـــ سورة الذّاريات ، الآيات : ٣٨ ـــ ٤٠ .

[2] ـــ سورة القمر ، الآيتان : ٤١ ـــ ٤٢ .

من آل فرعون ويبدو أن آل فرعون كانوا أجيالاً متعاقبين توالت عليهم الرسل بعد موسى بدليل هذا الجمع [1] ، فيكون الحديث في سورة القمر أشمل وأجمع .

وأُجمل عذاب فرعون في القمر وفُصّل في الذّاريات لأنه لما فُصّل في التكذيب والاتهام والقول : (فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) فصل في الأخذ (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ) ولما أجمل في التكذيب (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا) أجمل في الأخذ (فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ) ، ففي القمر : " تختصر قصة فرعون وملئه في طرفيها : مجيء النذر لآل فرعون وتكذيبهم بالآيات التي جاءهم بها رسولهم وأخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر . والإشارة إلى العزة والاقتدار تلقي ظلال الشدة في الأخذ ، وفيها تعريض بعزة فرعون واقتداره على البغي والظلم ، فقد ضاعت العزة الباطلة وسقط الاقتدار الموهوم ، وأخذه الله ــ هو وآله ــ أخذ عزيز حقاً مقتدر صدقاً . أخذهم أخذاً شديداً يُناسب ما كانوا عليه من ظلم وغشم وبطش وجبروت " [2] .

ففُصّلت قصة موسى في الذّاريات وأجملت في القمر ، بينما فُصّلت قصة نوح في القمر وأجملت في الذّاريات ، وفي هذا دليل على أن القرآن لم يجمل في سورة واحدة و لم يُفصّل في سورة واحدة وإنّما يُفصّل ويُجمل ليُحدث نوعاً من التوازن .

واقتصرت على ما ورد في الذّاريات والقمر دون النجم في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ۝ وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى ۝ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ۝ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ۝ ﴾ [3] لأنّه لم يُذكر فيها بماذا أُهلكوا وإنما هي إشارات سريعة ملائمة لسياقها .

---

[1] ــ انظر : الكشاف : ٤ / ٤١ ، البحر المحيط : ٨ / ١٨٠ ــ ١٨١ ، روح المعاني : ٢٧ / ١٢٨ ــ ١٢٩ .

[2] ــ في ظلال القرآن : ٢٧ / ٩٤ .

[3] ــ سورة النجم ، الآيات : ٥٠ ــ ٥٣ .

٢ ـــ وصف عذاب المكذبين في النار للتهديد والتحذير : ـــ

قال تعالى في الذّاريات : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] ، وقال تعالى في الطور : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [2] ، وقال تعالى في القمر : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [3] ، وقال تعالى في الرحمن : ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [4] ، وقال تعالى في الواقعة : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [5] ، وقال تعالى في الواقعة : ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾ [6] .

ورد المعنى في معظم سور جزء الذّاريات و في كل سورة يُسلط الضوء على جانب معين بما يتفق مع مقام السورة ، وفي النهاية تلتقي هذه المعاني لرسم عذاب المكذبين في النار للتهديد والتحذير ، ففي الذّاريات يبين شدة العذاب وقسوته بما يتلاءم مع مقام السورة وهو تأكيد البعث وتهديد المكذبين به ، وقد اعتمد على وسائل النظم والتصوير لإبراز المعنى

[1] ـــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ١٣ ـــ ١٤ .
[2] ـــ سورة الطور ، الآيات : ١٣ ـــ ١٦ .
[3] ـــ سورة القمر ، آية ٤٨ .
[4] ـــ سورة الرحمن ، الآيات : ٤١ ـــ ٤٥ .
[5] ـــ سورة الواقعة ، الآيات : ٥١ ـــ ٥٦ .
[6] ـــ سورة الواقعة ، الآيات : ٩٢ ـــ ٩٤ .

والغرض ، فالاستعارة في قوله : (يُفْتَنُونَ) للإشارة إلى شدة إحراقهم وتعذيبهم فالنار من شدتها وقسوتها تكاد تُذيب الكافر كما تذوب المعادن ، ووقعت الاستعارة بصيغة المضارع لاستحضار الصورة المنفرة المحذرة وللدلالة على تجدد العذاب دون انقطاع ، ثم إن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله : (ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ...) لتعذيبهم وأُلاحظ تكرار هذا الأسلوب في هذا المعنى لما له من دور بارز في زيادة تعذيبهم ، وقد خرج فعل الأمر (ذُوقُوا) عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي هو التنكيل بهم [1] ، والإضافة في قوله: (فِتْنَتَكُم) للدلالة " على اختصاصها لهم لأنهم استحقوها بكفرهم " [2] ، وفي هذا كله زيادة تعذيب وتهديد .

وفي الطور يذكر كيفية دخولهم للنار وأنه دخول الكاره الذي يُدفع بقوة وشدة وهذا يتلاءم مع مقام السورة وهو التهديد بتحقيق وقوع العذاب يوم القيامة للمكذبين ، واعتمد على وسائل النظم لتقديم المعنى والغرض ، فوقع الفعل بصيغة المضارع (يُدَعُّونَ) لاستحضار الصورة المحذرة المنفرة ، وتُلاحظ تكرار وقوع هذه الصيغة في هذا المعنى لما لاستحضار الصورة من دور بارز في التحذير والتهديد ، وهذا الثقل الذي نجده في اللفظة يتناسب مع المعنى وهو شدة دفع المكذبين إلى النار وهم كارهون يُحاولون الإفلات والإبعاد، ثم أُشير إلى النار باسم الإشارة القريب (هذه) لقربهم منها .

وفي القمر يبرز إهانتهم وإذلالهم ، وقد وقع هذا المعنى في آية واحدة ، ووصف عذاب المكذبين بعنف وإهانة واحتقار بما يتناسب مع جو السورة ومقامها وهو تحذير وتهديد المكذبين بيوم الدين ، واعتمد على وسائل النظم لإبراز هذا المعنى فوقع الفعل (يُسْحَبُونَ) بصيغة المضارع لاستحضار الصورة وما في هذا الاستحضار من تخويف وتحذير، وخُصّ الوجه في قوله : (عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) وهو موضع الكرامة لزيادة إهانتهم

---

[1] ــ التحرير والتنوير : ٢٦ / ٣٤٥ .

[2] ــ المرجع نفسه : ٢٦ / ٣٤٦ .

وإذلالهم ، وقال تعالى في الطور : ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ أي يدفع الملائكة الكفار إلى النار وهم بُعداء عنها وفي القمر : ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي بداخلها ، فكيف نوفق بين ذلك ؟ الجواب عنه كما أشار لذلك الفخر الرازي يرد على وجوه : " (أحدها) أن الملائكة يسحبونهم في النار ثم إذا قربوا من نار مخصوصة هي نار جهنم يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب في النار والدفع في نار أشد وأقوى ... (الثاني) جاز أن يكون في كل زمان يتولى أمرهم ملائكة ، فإلى النار يدفعهم ملك وفي النار يسحبهم آخر (الثالث) جاز أن يكون السحب بسلاسل يسحبون في النار والساحب خارج النار (الرابع) يحتمل أن يكون الملائكة يدفعون أهل النار إلى النار إهانة واستخفافاً بهم ، ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها "[1] .

وفي الرحمن يذكر كيفية أخذهم وحالهم في النار للتحذير منها وهذا يتناسب مع مقام السورة وهو تعدد نعم الله والتذكير بها ومن نعم الله تحذير عباده من النار كما يذكر كثير من المفسرين ، واعتمد على وسائل النظم لإبراز ذلك المعنى ، فخصّ النواصي — وهو الشعر في مقدم الرأس[2] — والأقدام للإشارة إلى التمكن منهم وفيه إذلال واحتقار لهم ، ثم يقال لهم : ﴿هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ووصفهم بالمجرمين لبيان استحقاقهم العذاب ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ وتأمّل الصيغة التي جاء عليها الفعل ﴿يَطُوفُونَ﴾ وما تدل عليه ومدى إسهامها في تحقيق الغرض .

وفي الواقعة ذكر المعنى في موضعين لبيان ما يأكله ويشربه المكذبون في النار للتهديد والتحذير وهذا ينسجم مع مقام السورة وهو تأكيد البعث والجزاء والرد على المكذبين وتحذيرهم ، وقد اعتمد على وسائل النظم والتصوير لتقديم المعنى والغرض ، ففي الموضع

---

[1] — التفسير الكبير : ٢٨ / ٢٤٦ .

[2] — مفردات ألفاظ القرآن : ٨١٠ .

الأول : أُكد الخبر بـ (إنّ) لأهميته ، ووجه الخطاب إليهم (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ) ووصفوا بالضالين المكذبين لاستحقاقهم ما بعده (لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ) وبيّن نوع الشجرة للتحذير والتهديد ، ثم إن التصوير في قوله : ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ۝٥٤ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ۝٥٥ ﴾ يقوم بدور كبير في التنفير والتهديد والتحذير وكذلك في قوله : (هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ) .

والموضع الثاني لتأكيد المعنى الأول ، وتكرر هذا المعنى والغرض في هذه السورة لحاجة المقام .

وبذلك تترابط المعاني ويكمل بعضها بعضا لوصف عذاب المكذبين في النار للتهديد والتحذير ، أولها رسم كيفية أخذهم للنار وثانيها كيفية دخولهم وثالثها بيان حالهم فيها وآخرها بيان ما يقدم لهم فيها .

٣ ـــ وصف نعيم المتقين في الجنة للترغيب : ـــ

قال تعالى في الذّاريات : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ ﴾[١] وقال تعالى في الطور : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨ ... فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨ ﴾[٢] وقال تعالى في القمر : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥ ﴾ [٣] ، وقال تعالى في الرحمن : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ ... مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ۝٧٦ ﴾ [٤] ،وقال تعالى في

---

[١] ـــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ١٥ ـــ ١٦ .

[٢] ـــ سورة الطور ، الآيات : ١٧ ـــ ٢٨ .

[٣] ـــ سورة القمر ، الآيتان : ٥٤ ـــ ٥٥ .

[٤] ـــ سورة الرحمن ، الآيات : ٤٦ ـــ ٧٦ .

الواقعة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ...وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ...ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

معظم سور الذّاريات تصف نعيم المتقين في الجنة وخصوصا ما وصف فيها عذاب المكذبين في النار ليجتمع الترهيب والترغيب ، وعلى الرغم من أنها جميعا تصف هذا النعيم فإن كل سورة تركز على جانب معين يتفق مع مقامها لنصل أخيرا من خلال سور هذا الجزء إلى وصف شامل لنعيم أهل الجنة .

في الذّاريات ذكر نعيم المتقين مع سبب استحقاقهم له بذكر أعمالهم في الدنيا لأنّ مقامها هو تأكيد البعث وتهديد المكذبين به ، وقد اعتمد على وسائل النظم والتصوير لتقديم الغرض ، فأكد الخبر بـ (إنّ) لأهميته وللفت الأنظار إليه وهذا الأمر يتكرر في هذا المعنى لأهميتهم وأهمية أمرهم ، وعُرّف لفظ (المتقين) بـ (أل) للدلالة على استحقاقهم النعيم لأنهم عرفوا بتقواهم وعطف قوله : (وعيون) على (جنّاتٍ) وذلك من عطف الخاص على العام ، وكأنّ الخاص لمكانته وميزته شئ آخر ليس من جنس العام ، وفي ذلك تنبيه على فضله ومكانته وهذا مما يرغب في الجنة ، وكُنّي عن صفة الرضا والقبول بـ (آخِذينَ) الدالة على التكريم والتنعم وكمال ما أعطوا ، ووقعت هذه الكناية بصيغة اسم الفاعل الدال على استمرار قبول النعيم الدائم الذي لا ينقطع وهذا مما يرغب في الجنة أيضاً ، ووقع المفعول به بصيغة اسم الموصول (ما) الدال على الإبهام والعموم لتذهب النفس كل مذهب في تخيّل ذلك العطاء وهذه الدلالة تُسْهم بوضوح في تقديم الغرض ، ثم علل ذلك بقوله : (إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ) وفي هذا التعليل تتضافر وسائل التوكيد على استحقاقهم النعيم بـ (إنّ) ، واسمية الجملة ، وتكرار الإسناد مرة إلى الفعل وأخرى إلى المسند إليه ،

[1] ـــ سورة الواقعة ، الآيات : ١٠ ـــ ٤٠ .

وأُشير إلى الجنة باسم الإشارة البعيد لبعد منزلتها وعظمتها وكل هذا يرغب في الجنة ، ويُحْدث قوله تعالى : (مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ) تناغماً موسيقياً ترتاح له النفس وتنجذب إليه خصوصاً أنه يعود لذات واحدة مما يُشعر بمدى مالهم من النعيم والمكانة ، والإضافة في قوله : (رَبُّهُم) لتعظيمهم وتكريمهم ، ثم ذكر سبب إحسانهم (كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ...) فوسائل النظم تآزرت مع التصوير للترغيب في الجنة .

وفي الطور ذكر نعيم المتقين مع إلحاق أبنائهم المؤمنين بهم دون نقص لدرجاتهم ، واعتمد على وسائل النظم والتصوير لتقديم الغرض ، فأُكد الخبر بـ (إنّ) وعرف لفظ المتقين ، والصورة في قوله : (فَاكِهِينَ) تدل على السرور والمرح ووقعت بصيغة اسم الفاعل ، وبذلك نجد تقارباً في وسائل النظم بين الذّاريات والطور وعلى الرغم من ذلك فإن التصوير تنوع لتنوع المعاني والأحوال المقصودة والتي يكمل بعضها بعضاً وينضم بعضها إلى بعض لتعطي صورة كاملة لنعيم أهل الجنة .

" وعبر بـ (آخِذِينَ) في الذاريات وبـ (فَاكِهِينَ) في الطور ، لأنه لما ذكر صورة واحدة من صور النعيم (عُيُونٍ) ناسبه آخذين ، ولما ذكر صور النعيم كلها من عيون وشجر وثمر وحور عين وغير ذلك ناسبه (فَاكِهِينَ) ولا شك أن النفوس تُسرّ بالنعيم كله " [1] .

وفي القمر ذكر نعيم المتقين بصورة موجزة لأن مقامها والغالب عليها هو تحذير وتهديد المكذبين بيوم الدين ، فبعد أن ذكر جزاء المكذبين ذكر جزاء المصدقين المتقين للترغيب ، والكناية في قوله : (عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) تدل على منتهى الكرامة والمحبة للمتقين .

[1] ـــ من توجيهات المشرف ـــ حفظه الله ـــ .

وفي الرحمن والواقعة بسط واتساع في وصف النعيم ، وهذا البسط يناسب المقام وهو تعدد نعم الله والتذكير بها في الرحمن ، وتأكيد البعث والجزاء في الواقعة ، وبذلك تترابط المعاني ويكمل بعضها بعضا لوصف نعيم المتقين في الجنة للترغيب .

وهناك معنى آخر لنفس الغرض السابق وهو :

٤ ـــ وصف نساء الجنة للترغيب : ـــ

قال تعالى في الرحمن : ﴿ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾[١] ، وقال تعالى في الواقعة : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[٢] .

المعنى المكنَّى عنه في الآيتين واحد وهو (النساء) والغرض واحد ، ولكن التعبير مختلف لاختلاف مقام كل سورة وجوها ، ففي الواقعة مجرد ترغيب لا يصل إلى جو تعديد النعم الذي يسود سورة الرحمن ، لذلك نجد التعبير في الرحمن أكثر ترغيباً وتشويقاً وتذكيراً بالنعمة التي سيكونون عليها ، فقد احتوى على كنايتين متجاورتين (فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ) و (لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ) وقد تعاون النظم مع التصوير لتقديم المعنى والغرض ، فقُدّم المسند (فيهن) ـــ في قوله تعالى : (فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ) ـــ على المسند إليه (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) لغرض بلاغي هو إفادة الحصر والاختصاص ففي الجنة القاصرات الطرف لا في غيرها ، فهي منفردة بذلك ومقصورة عليها مما يُرغب في الجنة ، ووقعت الكناية بصيغة اسم الفاعل الدال على استمرار قصر النساء الطرف على أزواجهن للترغيب ، وبذلك تتعاون وسائل النظم مع التصوير للترغيب في الجنة ، وفي قوله تعالى : (لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ) يتقدم المفعول الضمير (هن) على (إنس) للاهتمام

---

[١] ـــ سورة الرحمن ، آية ٥٦ .

[٢] ـــ سورة الواقعة ، آية ٣٤ .

والعناية وتقديم ذكرهن يتناسق مع الغرض وهو الترغيب في الجنة ، ولا نجد كـــل هـــذا في الواقعة .

فكُنّي عن النساء في الرحمن بـــ (قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ) وهي كناية عن موصوف معين ومرتبطة بصفة خاصة وهي (العفة) و في الواقعة صفة مطلقة ليست مرتبطة بشيء ، فالصفة في الواقعة كناية عن النساء الحور فقط لكن في الرحمن كناية عن النساء ومرتبطة بصفة مرغوب فيها مما يدل على زيادة في التشويق والترغيب والإشعار بنعم الله بما يتناسب مع جو سورة الرحمن .

ومنه قوله تعالى في الرحمن : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾[1] ، وقوله تعالى في الواقعة : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2] .

في قوله تعالى : (حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ) كناية عن صفة معنوية هـــي الـــستر والصون والعفة ، وفي قوله تعالى : (وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾) تـــشبيه الحور العين باللؤلؤ المكنون في الصفاء والنقاء والتلألؤ والنعومة ، وكلها صـــفات جماليـــة حسية، والجمال المعنوي في الرحمن انضم مع الجمال الحسي في الواقعـــة ، فهمـــا يُكمـــل بعضهما بعضا .

واعتمد على الكناية في الوصف المعنوي وعلى التشبيه في الوصـــف الحـــسي لأن الجمال المعنوي خفي يُناسبه التعبير الكنائي لما فيه من خفاء ، والجمال الحسي ظاهر يُناســـبه التشبيه لما فيه من ظهور ووضوح ، والحسية في الواقعة لزيادة الترغيب والتحبيب والتشويق وليتناسب مع علو الدرجة .

---

[1] ـــ سورة الرحمن ، آية ٧٢ .

[2] ـــ سورة الواقعة ، الآيتان : ٢٢ ـــ ٢٣ .

٥ ــ تحقيق وتأكيد وقوع البعث والجزاء : ــ

قال تعالى في الذّاريات : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝ ﴾ [١] ، وقال تعالى في الطور : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝ ﴾ [٢] ، وقال تعالى في النجم : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝ ﴾ [٣] ، وقال تعالى في القمر : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝ ﴾ [٤] ، وقال تعالى في الواقعة : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ ﴾ [٥] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝ ﴾ [٦] .

ذكر هذا المعنى في معظم سور الذّاريات ، وفي كل سورة يركز على طريقة معينة لتأكيد البعث والجزاء بما ينسجم مع سياق ومقام السورة ، ففي الذّاريات تأكيد وقوع البعث هو المحور الأساس للسورة ، واعتمد على وسائل النظم لتأكيد هذا المعنى بـ (إنّ) ثم اسمية الجملة ، ثم اللام ، وتعددت وسائل التوكيد لأنه أمر مُنْكر .

وفي الطور أُكد المعنى مع إضافة عدم القدرة على دفعه وهذا مرتبط بمقام السورة وهو التهديد بتحقيق وقوع العذاب يوم القيامة للمكذبين .

---

[١] ــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ٥ ــ ٦ .

[٢] ــ سورة الطور ، الآيتان : ٧ ــ ٨ .

[٣] ــ سورة النجم ، الآيات : ٣٩ ــ ٤٧ .

[٤] ــ سورة القمر ، الآيات : ٦ ــ ٨ .

[٥] ــ سورة الواقعة ، الآيتان : ١ ــ ٢ .

[٦] ــ سورة الواقعة ، الآيتان : ٤٩ ــ ٥٠ .

وفي النجم وقع المعنى في سياق الحديث عن أصول العقيدة ، واعتمد على النظم لإبراز معنى مقصود ، فقدم الجار والمجرور المسند (عليه) على المسند إليه (ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ) لاختصاص الله بذلك فهو وحده القادر على هذا الأمر .

وفي القمر أُكد وقوع البعث من خلال تصوير حال الناس يوم ذاك .

وفي الواقعة أكّد المعنى من خلال تكراره في موضعين لأنه المحور الأساس للسورة وسائر المعاني تنجذب إليه ، وفُصّل فيه مصير الأزواج الثلاثة لتأكيد وقوع البعث والجزاء .

٦ ــ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المكذبين رحمة به مع الثبات على تبليغ الرسالة والتذكير : ــ

قال تعالى في الذّاريات : ﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ۝٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥ ﴾ [1] ، وقال تعالى في الطور : ﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ۝٢٩ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ۝٣٠ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ۝٤٥ ﴾ [3] ، وقال تعالى في النجم : ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٢٩ ﴾ [4] ، وقال تعالى في القمر : ﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ ﴾ [5] .

ومع أنّ المعنى والغرض واحد فإن طريقة التعبير اختلفت لاختلاف السياقات وذهاب كل سياق بخصوصية معينة ، ففي الذّاريات أُمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض

---

[1] ــ سورة الذّاريات ، الآيتان : ٥٤ ــ ٥٥ .

[2] ــ سورة الطور ، الآيات : ٢٩ ــ ٣١ .

[3] ــ سورة الطور ، الآية ٤٥ .

[4] ــ سورة النجم ، الآية ٢٩ .

[5] ــ سورة القمر ، الآية ٦ .

والتذكير ، ووقع هذا بعد قوله تعـالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ فأمر عليه الصلاة والسلام بالإعراض ، ونفى الملامة عنه لأن مذهب الكفار وأقوالهم واحدة .

وفي الطور تكرر هذا الأمر في موضعين ، وكل موضع خضع لسياقه ، ففي قولـه : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ الأمر بالتذكير في سياق إبطال تكاذيب المشركين ، وفي قولـه : ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ لفظ يدل على غضب شديد وذلك لأنّهم بلغوا حداً من الإنكار وأصبحوا بعيدين عن التأثر بالآيات ووقع هذا المعنى والغرض في موضعين في هذه السورة لأن مقامهـا هـو التهديد بتحقيق وقوع العذاب يوم القيامة للمكذبين .

وفي النجم رسم موقف النبي صلى الله عليه وسلم مقابل موقف الكفـار ، وتأمـل قوله: (مَّن تَوَلَّىٰ) الذي يصور إعراض الكاره النافر .

وفي القمر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن مجادلة المشركين ثم بـدأ بوصف حالهم يوم البعـث بعـد قولـه : (وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ) .

ونلاحظ الاعتماد على الكناية في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بـالإعراض عـن المكذبين وذلك لأن الكناية تقوي المعنى حيث يجيء مقروناً بالدليل عليه وبصورته الحسية التي ترتسم في النفس وتتأكد .

ثانياً : وقوع المعنى مصوّراً تارة وحقيقة تارة أخرى : ــ

قد يقع المعنى مصوراً في سورة وحقيقة في سورة أخرى حسب الحاجة لـذلك ، كقوله تعالى في الذّاريات : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾[1] ، وقوله تعالى في الطور : ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾[2] .

المعنى والغرض واحد وهو وقوع العذاب يوم القيامة للتهديد والوعيد ، وفي الذّاريات جاء المعنى على حقيقته ، والغرض مفهوم من وسائل النظم فنُكّر (ويل) للتهويل والويل هو " الوادي السائلُ في جهنم من قَيْحٍ وصديد "[3] ، وورد لفظ (يومهم) في الآيـتين معرفـاً ووسيلة تعريفه الإضافة إلى ضمير الغيبة (هم) ، ولا شك أن الإضافة إليهم تُشعر بمـدى هول ذلك اليوم ورهبته ، وكذلك اختصاصهم به وكأنهم قد انفردوا بذلك اليـوم ، وفيـه إشارة إلى شدة ما سيلقونه في ذلك اليوم العظيم ، وعـبر بالفعـل المـضارع في قولـه : (يُوعَدُونَ) الدال على التجدد دون انقطاع للإشارة إلى أنه تكرر وعيدهم فلـم يعتـبروا فاستحقوا هذا التهديد الشديد بالعذاب ، وهذه الدلالة لا تنفصم عن الدلالات الأخـرى للتهديد والوعيد .

وفي الطور وقع المعنى مصوراً ففي قوله تعـالى : (حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ) تـشخيص وتفظيع وتهويل ينسجم مع ما في السياق من إنكار (أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ) واستهانة وتهـوين (وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ) فعدم المبالاة بالعذاب ناسـبه التشديد في الرد والحدة والقوة ، ثم إن وسائل النظم تتعاون مع التصوير للتهديد والوعيـد فقوله : (فَذَرْهُمْ) أي دعهم واتركهم يدل على غضب وأن العذاب واقع بهـم لا محالـة ،

---

[1] ــ سورة الذّاريات ، الآية ٦٠ .

[2] ــ سورة الطور ، الآية ٤٥ .

[3] ــ تفسير الطبري : ٢١ / ٥٥٩ .

وكذلك تقديم الجار والمجرور (فيه) على الفعل (يُصْعَقُون) للدلالة على وقـوع ذلـك العذاب يوم القيامة خاصة وفي هذا تهديد ووعيد .

ففي الذّاريات تعبير حقيقي فيه شدة وتخويف ولكن لما كان هناك مزيـد اسـتهانة وإنكار ناسبه التعبير بالاستعارة في سورة الطور .

ومنه قوله تعالى في الطور : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] ، وقوله تعالى في الواقعة : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[2] .

المعنى والغرض واحد وهو وصف السرر في الجنة للترغيب ووقع الوصف في الطور على الحقيقة حيث قال عز وجل : (مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ) أي متصلة بعضها ببعض لا فرق بينها وهذا يدل على الأنس والتنعم والتآلف ، ووقع الوصف في الواقعة مُصورّاً بالاستعارة كما أشرنا[3] فقال تعالى : (عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ) أي منسوجة بالدر والياقوت مداخل بعضها في بعض وليس ذلك فحسب وإنما (مُتَقَٰبِلِينَ) أي " كل واحد قُبالة الآخر ، وهذا أتم للأنس لأن فيه أنس الاجتماع وأنس نظر بعضهم إلى بعض فإن رؤية الحبيب والصديق تؤنس النفس "[4] ، فالتصوير في الواقعة وذكر (مُتَقَٰبِلِينَ) لأنه وصف لأعلى درجات الجنة (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ) ،

---

[1] ـــ سورة الطور ، الآيات : ١٧ ـــ ٢٠ .

[2] ـــ سورة الواقعة ، الآيات : ١٠ ـــ ١٦ .

[3] ـــ انظر صفحة (٩٧) من هذا البحث .

[4] ـــ التحرير والتنوير : ٢٣ / ١١٢ .

فمن المناسب أن يصل بوصف النعيم إلى أعلى الدرجات ، وباختصار الصورة في سورة الواقعة دالة على كمال التنعم لتتناسب مع علو الدرجة ، وقد تعاونت وسائل النظم مع التصوير لإبراز مترلتهم وعلو درجتهم ، فحذف متعلق (السَّابِقُونَ) لأن التقدير كما يذكر الإمام الشوكاني " والسابقون إلى الإيمان السابقون إلى الجنة " [1] وهذا الحذف يؤدي إلى تجاور المبتدأ والخبر تجاوراً يعطي تفخيماً وتعظيماً ، فتآرز دلالة الحذف مع دلالة التكرار (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) لتعظيمهم وعلو مترلتهم ، وأُشير إليهم باسم الإشارة البعيد (أُوْلَئِكَ) ولم يقل (هؤلاء) للإيذان ببعد مترلتهم في الفضل [2] .

ومنه قوله تعالى في سورة الطور: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾ [3] ، وقوله تعالى في نفس السورة : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [4] .

المعنى في الآيتين واحد وهو الوقاية من العذاب ، ولكن الوصف مختلف فتارة حقيقة (ووقاهم رهم عَذَابَ الْجَحِيمِ) وتارة تشبيه (وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ) ، واختلف الوصف لاختلاف المتكلم فالآية الأولى كلام رب العزة من باب التبشير بفضله على المؤمنين ، والآية الثانية حكاية بعضهم لبعض على سبيل الإحساس بالنعمة والشعور بالامتنان ، وعبروا بلفظ يتعارفون عليه فـ " وجه الشبه وإن كان في النار أقوى لكنه في ريح السموم لمـشاهدته في الدنيا أعرف فلذا جعل مُشبهاً به وليس مبنياً على قلب التشبيه كما يتوهم " [5] .

---

[1] ـــ فتح القدير : ٥ / ٢١٠ .

[2] ـــ روح المعاني : ٢٧ / ١٨٨ .

[3] ـــ سورة الطور ، الآيتان : ١٧ ـــ ١٨ .

[4] ـــ سورة الطور ، الآيات : ٢٥ ـــ ٢٧ .

[5] ـــ انظر : حاشية الشهاب : ٨ / ٦١٣ ، روح المعاني : ٢٧ / ٥١ .

ومنه قوله تعالى في الذّاريات : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [1] ، وقوله تعالى في الطور: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

تجتمع الآيتان في التهديد بعذاب الدنيا وأنه واقع ، ثم تنفرد كل منهما بخصوصية ، فلا تباين بينهما بل إن دائرة المعنى تكتمل عندما ينضم هذا لذاك ، إحداهما تدل على أن عذاباً سيقع بهم كالذي وقع بمن قبلهم ، والأخرى تكمل بأن هذا العذاب الذي هو واقع دون عذاب الآخرة ، وقد اعتمد على وسائل النظم والتصوير لتقديم الغرض ، فصُدّرت الجملة الكنائية في الآيتين بـــ (إن) لأهمية الخبر ، ثم تقدم خبرها (لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟) على اسمها لغرض بلاغي هو العناية بالمتقدم ، فهو موطن الاهتمام وموضع الحديث ، وعُرّفت الكناية (لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟) بالصلة للإشارة إلى وجه بناء الخبر وهو العذاب ، ونُكّر (ذنوباً وعذاباً) للتعظيم أي ذنوباً وعذاباً عظيماً وما في ذلك من التهديد ، ثم إنه في الذّاريات تآزرت الصورة الكنائية مع الصورة التشبيهية في قوله : (مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ) بقياس ما يقع بهم بما وقع للسابقين لتأكيد وقوعه وتهديد المكذبين به ، وفي الطور تآزرت الصورة الكنائية مع وسائل النظم للتهديد والتحذير ، فاسم الإشارة (ذلك) في قوله : (عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ) لتمييز المشار إليه واستحضاره مجسداً ، والإشارة بالبعيد لبعد عذاب الآخرة عن الدنيا ، وأن عذاب الدنيا لا شئ قياساً بعذاب الآخرة وفي ذلك تهديد وتحذير كبير .

ومنه قوله تعالى : ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾[4]

---

[1] ـــ سورة الذّاريات ، آية ٥٩ .

[2] ـــ سورة الطور ، آية ٤٧ .

[3] ـــ سورة الطور ، آية ٢٤ .

[4] ـــ سورة الإنسان ، آية ١٩ .

وقوله تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِن مَعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾[1] .

المعنى والغرض واحد وهو وصف غلمان الجنة للترغيب ، وقد صوّر المعنى في الطور دون الواقعة لاختلاف الصفة والمراد ، ففي الطور أراد معنى الصفاء والبياض واللمعان والتلألؤ ، وقد تعاون النظم مع التصوير لتقديم الغرض فقدم الجار والمجرور (عليهم) — في قوله تعالى : (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ) — على الفاعل (غلمان) لاختصاص المتقين بذلك وانفرادهم به دون سواهم تكريماً لهم وفي هذا مزيد ترغيب في الجنة ، كما أن الفعل (يطوف) وقع بصيغة المضارع لاستحضار الصورة المرغبة المحببة وبأن الطواف متجدد لا ينقطع وهذا من تمام النعمة .

وعبر بـ (الغلمان) في الطور وبـ (الولدان) في الإنسان والواقعة وذلك لأنه " لما ذكرت الذرية في سورة الطور بما كان يوهم ذكرهم من حيث دخولهم الجنة بغير عمل أنهم فيها خدام لمن اتبعوه بين قوله (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ) أن الكل من تابع ومتبوع مخْدومون ، وقيل " لهم " باللام المقتضية المُلك مع كون الضمير في لهم للكل من متبوع وتابع إشعاراً بأنهم مُلكهم غلمان لهم ، يتصرفون في كل بما يُؤمرون به ويُنهون عنه ، ولما لم يقع في سورة الواقعة وسورة الإنسان ذكر الأتباع من الذّرية لم يرد فيهما إلا اسم الولدان ، وهم في الخدمة بمقتضى أسنانهم[2] دون الغلمان ، وتناسب هذا والله أعلم "[3] .

و في الواقعة أراد معنى الخلود الدال على تمام النعمة المناسب للسابقين و " للاحتراس مما قد يوهمه اشتقاق " ولدان " من أنهم يشبون ويكتهلون ، أي لا تتغير صفاتهم

---

[1] ــ سورة الواقعة ، الآيتان : ١٧ ــ ١٨ .

[2] ــ (بمقتضى أسنانهم) أي أعمارهم ، انظر : أساس البلاغة : ٣١١ .

[3] ــ ملاك التأويل : ٢ / ١٠٤٣ .

فهم ولدان دَوْماً وإلا فإن خلود الذوات في الجنة معلوم فما كان ذكره إلا لأنه تخليد خاص " [1] ، ولم يوصف الغلمان في الطور بذلك لأن سورة الواقعة فيها بسط للنعيم ناسبه (مخلدون) ليدل على تمام النعمة ، وذكر في الواقعة بماذا يُطاف (بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ) و في الطور لم يُذكر ذلك لأن سورة الواقعة نزلت قبل الطور وفيها بسط للنعيم فاكتفى بما ذُكر و لم يُعَدْ ، والله تعالى أعلم .

وعلى الرغم من أن المعنى صوّر في الطور والإنسان فإن الأداة اختلفت ففي الطور (كأنّهم) وفي الإنسان (حسبتهم) ووقعت كل أداة مناسبة لما جاورها في اللفظ إلى جانب المناسبة المعنوية فـ (كأن) تدل على شدة المشابهة يُناسبها (لهم) الدالة على الملكية ، و (حسب) تدل على المشابهة يُناسبها (إذا رأيتهم) ، فكل أداة بليغة في سياقها، وكذلك اختلف الوصف ففي الطور أراد منتهى الصفاء والنقاء والبياض وفي الإنسان أراد وصفهم حين انتشارهم وتفرقهم مع حُسن منظرهم ، يقول زكريا الأنصاري : " إن قلت: ما الحكمة في تشبيههم باللؤلؤ المنثور دون المنظوم ؟ قلتُ : لأنه تعالى أراد تشبيههم ـــ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ـــ باللؤلؤ الذي لم يُثقب ، وهو أشدُ صفاءً ، وأحسنُ منظراً، مما ثُقب ، لأنه إذا ثُقب نقص صفاؤه ومائيّتهُ ، وما لم يُثقب لا يكون إلا منثوراً " [2] .

واتفقت أداة التشبيه مع ما قبلها في السجع في قوله تعالى : (غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ) في الطور و (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ) في الإنسان لأن " هذا الإيقاع النغمي السجعي في الآية يخلق جواً من الارتياح النفسي يؤدي إلى مزيد من الترغيب في ذلك النعيم والعمل من أجله ـــ والله أعلم ـــ " [3]

---

[1] ـــ التحرير والتنوير : ٢٧ / ٣٩٧ .

[2] ـــ فتح الرحمن : ٣١٨ .

[3] ـــ من توجيهات المشرف ـــ حفظه الله ـــ .

تعقيب :

بعد أن اجتهدت في استنطاق نصوص العلماء ، والنظر والتأمل في فروق وتنوع أساليب البيان في جزء الذّاريات ، إليك هذا التعقيب أبرزه في النقاط التالية :

١ ـــ لا تدرس الصورة بعيدة عن النظم بل تتعاون وسائل النظم مع التصوير لتقديم الغرض .

٢ ـــ المعاني مرتبطة ومرتب بعضها على بعض ، ويُكمل بعضها بعضا .

٣ ـــ المعنى قد يأتي مصوّراً وقد يأتي على الحقيقة ، وكل هذا حسب الحاجة فالسياق هو الذي يستدعي التصوير أو الحقيقة .

٤ ـــ قد نجد تقارباً في الصياغة لتقارب الغرض كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ ... ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ... ﴾.

٥ ـــ لاحظنا مدى مطابقة كل لون بلاغي لمعنى سورته ثم تكامل هذه المعاني في تقديم تصور كامل .

٦ ـــ الإجمال في سورة والتفصيل في سورة مما يُحدث نوعاً من التوازن في هذا الجزء ، وكل من الإجمال والتفصيل يناسب سياق سورته .

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة المباركة في رحاب كتاب الله يطيب لي أن أوجز حديثي في النقاط التالية :ـ

١ ـ المعاني في هذا الجزء مرتبطة ومتداخلة ويكمل بعضها بعضا ويترتب بعضها على بعض .

٢ ـ سور جزء الذّاريات مرتبة في المصحف ترتيبا متناسبا وذلك من حيث اشتراكها في أغراض عامة تجمع فيما بينها .

٣ ـ التشبيه المفرد أكثر أنواع التشبيه ورودا في جزء الذّاريات وكذلك الاستعارة التصريحية قياسا بالمكنية ويخلو هذا الجزء من الكناية عن نسبة وفي ذلك دليل على أن الصورة في القرآن ليست غاية في ذاتها وإنما وسيلة لتقديم الأغراض الدينية والخلقية بأبسط العناصر .

٤ ـ كثرة ورود أساليب الاستعارة في جزء الذّاريات فقد فاقت ما ورد من أساليب التشبيه والكناية لما لها من أثر في توضيح المعنى وتقريبه عن طريق تجسيده وتشخيصه وجعله ماثلاً للعيان .

٥ ـ غلبة تصوير العقلي بالمحسوس وهذا يعد من الدرجة العليا في البلاغة لاقتضاء المقام إياه .

٦ ـ الغرض قد يتطلب ذكر الأداة أو حذفها كما أن السياق قد يقتضي الحقيقة أو التصوير .

٧ ـ لاحظنا ظاهرة تقارب الصياغة لتقارب الغرض وما تُسهم به من زيادة تقديم الغرض وتوضيحه وتوكيده .

٨ ــ في كل الظواهر يظهر إعجاز القرآن الكريم وخصوصا ظاهرة جـــواز إرادة المعنى الحقيقي والمجازي بلا تعارض وظاهرة التعبير عن صورة مركبة بلفظة مفردة .

٩ ــ لا تدرس الصورة بعيدة عن النظم بل تتعاون وسائل النظم مع التصوير لتقديم المعنى والغرض .

١٠ ــ التوازن في هذا الجزء من خلال تفصيل قصة في سورة وإجمالها في الأخرى والعكس ، وفي توزيع الظواهر بين الكناية عن صفة والكناية عن موصوف.

١١ ــ مما هو جدير بالذكر أن كل صورة من صور البيان قـــد وردت في ســـياقها وجاءت في مكانها المناسب بحيث لو أحيلت عن موضعها لأدى ذلك إلى ضرب من العبث وفساد المعنى وإخلال بالغرض .

١٢ ــ مطابقة كل لون بلاغي لمعنى سورته ثم تكامل هذه المعاني في تقديم تـــصور كامل .

١٣ ــ احتوى جزء الذّاريات على معانٍ وآداب تربي النفس الإنــسانية وتـــدعوها لحب الإنفاق وترغبها في الجنة وتحذرها من النار .

١٤ ــ يُظهر هذا البحث شدة التلاحم والترابط بين علمي النحو والبلاغة .

١٥ ــ من أبرز نتائج البحث تحقيق هدف عظيم وهو إثراء الدرس البلاغي بشواهد جديدة ليست متداولة في كتب البلاغة وهذا بلا شك ينهض بعلم البلاغة .

١٦ ــ الربط بين علوم اللغة العربية جميعا لخدمة القرآن ، والقرآن لا يزال غضاً كما نزل .

وأخيراً .. من خلال معايشتي للقرآن وتذوق بلاغته أوصي بما يلي :

١ ــ دراسة جزء كامل من القرآن لمعرفة الفروق بين صور المعنى الواحـــد الـــتي تخضع لمقامات سورها .

٢ ــ دراسة سر ترتيب السور في المصحف الشريف وما لذلك من أثر في بيان إعجاز القرآن الكريم .

٣ ــ دراسة القضايا البلاغية التي تناولها المفسرون وجوانب الاتفاق والاختلاف حولها .

٤ ــ دراسة العناصر البلاغية في جزء بعينه مع تتبع نظائرها في القرآن الكريم .

٥ ــ أن تتضافر جهود الباحثين على تتبع تحليلات المفسرين واستقصاء آرائهم واستيفاء الكلام عليها لمعرفة مدى عنايتهم بكتاب الله تعالى ودراسة محاسن الكلام .

٦ ــ تزويد المناهج الدراسية في المرحلتين المتوسطة والثانوية ببعض النماذج القرآنية، بحيث يُشار إلى شئ مما فيها من لطائف ونكات بلاغية ، وذلك لتنمية الذائقة الأدبية عند الناشئة .

وبعد ... فهذا جهد المقل ، وحسبي أنني بشر ، وعلم البشر لا يخلو من النقص والتقصير ، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم نافعا إنه على كل شئ قدير.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ... ﴿٧٤﴾ ﴾	٧٤	٦٥
آل عمران	﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ... ﴿١٣٣﴾ ﴾	١٣٣	٤١
الأعراف	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾	٣٤	١١٥
النحل	﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ ...﴾	٧٧	٤٦
مريم	﴿...وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا... ﴾	٤	جـ
الأنبياء	﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾	٣٢	١١٠
فصلت	﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ... ﴾	٤٢	١١٥
الذاريات	﴿ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴾	٢	١٠٧
	﴿ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴾	٣	١٣٤،١٠٧
	﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾	٤	١٠٨
	﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾	٦،٥	١٥٤

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	اسم السورة
٧٢	١٠	﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾	الذاريات
٩٠	١١	﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾	
١٤٦،٩٧،٢	١٣	﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾	
٧٠	١٤	﴿ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾	
١٦٣،١٤٩	١٥	﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	
١٤٩،١١٦	١٦	﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾	
١٠٩	١٩	﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾	
٧١	٢١	﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾	
٢٤	٢٣,٢٢	﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣) ﴾	
١٢٥،٩٣	٢٦	﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾	
١١١	٣٢	﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾	

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الذاريات	﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾	٣٣	١١١،١٤٣
	﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾	٣٤	١٤٣
	﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾	٣٨	٥٨،١١٨،١٤٤
	﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾	٣٩	٨٦,١٢٦
	﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾	٤٠	٨٧,١٢٦,١٤٥
	﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾	٤١	٨٢،١٣٨،١٣٩
	﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾	٤٢	٥٠،١٣٨،١٣٩
	﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾	٤٣	١٤٠
	﴿ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾	٤٤,٤٥	١٤٠
	﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾	٤٦	١٣٧
	﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾	٤٨	٩٩
	﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	٥٠	٩,٩٠
	﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ ...﴾	٥٢	٩،٢٥،٢٦،٢٧،٥٠،١٥٦

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الذّاريات	﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾	٥٤	١٥٥،١١٨،٥
	﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٥٥	١٥٥،٥
	﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ ﴾	٥٩	١٦٠،٩
	﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾	٦٠	١٥٧،٩
الطور	﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾	٥	١٠٩
	﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾	٨,٧	١٥٤
	﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾	١٢	٧٢
	﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾	١٣	١٤٦،٨٥
	﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾	١٤	٨٥
	﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾	١٥	١٤٦
	ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾	١٦	١٤٦
	﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾	١٨,١٧	١٤٩،٦٠

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	اسم السورة
١٥٨	٢٠	﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾	الطور
٦٠	٢٢	﴿ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾	
٩٦	٢٣	﴿ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾	
١٦٠،٥٠	٢٤	﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾	
١٥٩،١٢٤	٢٥	﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾	
٤٧	٢٧	﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾	
١٥٥	٢٩	﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾	
١٥٥	٣١,٣٠	﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾	
٧٦	٣٧	﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ﴾	
٦٨	٣٨	﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾	
٧٥	٤٠	﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾	
١٥٧,٨٤,١١	٤٥	﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾	

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الطور	﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٤٧	١١،١١٢،١٦٠
	﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾	٤٨	١١،١١٨
النجم	﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾	٢	١١،٧٣
	﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾	٥	١١٠
	﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾	٦	٧٤
	﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾	٨	١٢٦
	﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾	٩	١٢٦
	﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾	١٢	٦٦
	﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٩	١١٩
	﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾	٣١	١١٢
	﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ ... ﴾	٣٢	٦١

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
النجم	﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾	٣٣	١٢٠،٨٥،١٢
	﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰٓ ﴾	٣٤	٨٥,١٢
	﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ... ﴾	٣٩ـ٤٧	١٥٤
	﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾	٥٠ـ٥٣	١٤٥،٧
	﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾	٥٩ـ٦١	٧٩
القمر	﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾	٤ـ٥	١٥٦
	﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴾	٦	١٥٥،١١٩
	﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾	٧	١٢٤،٥٠،٤٣
	﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا ... ﴾	٩ـ١٤	١٣٧،٩١
	﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ... ﴾	١٨ـ٢٢	١٣٨
	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ... ﴾	٢٣ـ٣١	١٤٠

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
القمر	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ...﴾	٣٣ــ٣٩	١٤٢،١٤٣
	﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾	٤١ــ٤٢	١٤٤
	﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	٧٤
	﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾	٤٧ــ٤٨	٧١
	﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾	٥٠	٤٦
	﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾	٥٥	١٢١
الرحمن	﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾	٦	٩٩
	﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾	٧	٦٢
	﴿ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾	٨ــ٩	١٢٧
	﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾	٢٤	١١١،١١٣،١٣٦
	﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾	٣٧	١٥,٤٢,٥٢
	﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ...﴾	٤١ــ٤٥	١٤٦

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الرحمن	﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ... ﴾	٥٤	٦٢
	﴿ ... لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾	٥٦ـ٧٤	١٢٢،١٥٢
	﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾	٧٢	١٥٣
الواقعة	﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾	١ـ٢	١٥٤
	﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾	٣	١٢٣
	﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ ﴾	٥,٦	١٥,٥٢
	﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ ﴾	٨,٩	٦٣
	﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ... ﴾	١٠,١١	٦٤
	﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ... ﴾	١٥,١٦	٩٦
	﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ... ﴾	١٧,١٨	١٦١
	﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾	١٩	٦٣
	﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾	٢٢,٢٣	١٥٣
	﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾	٣٤	١٥٢
	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ... ﴾	٤٩,٥٠	١٥٤
	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ... ﴾	٥٠ـ٥٥	١٤٦،١٤٩

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الواقعة	﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾	٥٦	١٤٦،٣٦
	﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾	٦٠	٨١
	﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾	٦٥	٦٨
	﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ ﴾	٨١	٧٧
	﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ ﴾	٩٣	٣٧
الحديد	﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ ... ﴾	٦	٩٨
	﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ... ﴾	٩	٧٩
	﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ... ﴾	١٠	١١٢
	﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾	١١	٩٢،٨٥
	﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾	١٢	١٢٨

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الحديد	﴿ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾	١٤	١١٥
	﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ... ﴾	١٥	١٢٩
	﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ .... ﴾	١٦	٦٤،١٧
	﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ... ﴾	١٧	٨٨
	﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ ...﴾	١٨	٩٣
	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ... ﴾	١٩	٢٨
	﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ... ﴾	٢٠	٤٧,١٨
	﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ.. ﴾	٢١	١٢٩،١٨
	﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ ...﴾	٢٤	١٢٠

اسم السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الحاقة	﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾	٧,٦	٣٢
	﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ ... ﴾	١١	٥٦
	﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾	١٦,١٥	٤٣
الإنسان	﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴾	١٩	١٦٠
القارعة	﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾	٤	٤٤

فهرس المصادر والمراجع

ـــ **القرآن الكريم** .

ـــ **أدوات التشبيه ـــ دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم ـــ** ، محمود موسى حمدان ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط ١ ، ١٤١٣هـ ـــ ١٩٩٢م .

ـــ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـــ لبنان ، ط ٢ ، ١٤١١هـ ـــ ١٩٩٠م .

ـــ **أساس البلاغة** ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار بيروت ، ١٤٠٤هـ ـــ ١٩٨٤م .

ـــ **أساليب البيان والصّورة القرآنية** ، محمد إبراهيم شادي ، دار والي الإسلامية ، ط ١، ١٤١٦هـ ـــ ١٩٩٥م .

ـــ **أسرار البلاغة** ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩١م .

ـــ **الأسلوب الكنائي** ، محمود السّيد شيخون ، مكتبة الكليّات الأزهرية ، القاهرة ، ط ١، ١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨م .

ـــ **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة** ، محمد بن علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، ١٤١٨هـ ـــ ١٩٩٧م .

ـــ **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز** ، العز بن عبد السلام ، دار الطباعة العامرية ، القاهرة ، ١٣١٣هـ .

ـــ **أفنان البيان** ، الشحات محمد أبو ستيت ، د . ط ، د . ت .

ـــ **الإيضاح في علوم البلاغة** ، الخطيب القزويني ، شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٦ ، ١٤٠٥هـ ـــ ١٩٨٥م .

ـــ **البرهان في علوم القرآن** ، بدر الدين الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .

ـــ **البرهان في متشابه القرآن** ، محمود بن حمزة الكرماني ، تحقيق : أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ٢، ١٤١٨هـــ ـــ ١٩٩٨م .

ـــ **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة** ، عبد المتعال الصّعيدي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٠هـــ ـــ ١٩٩٩م .

ـــ **البلاغة فنونها وأفنانها** ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، عمان ـــ الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٧هـــ ـــ ١٩٨٧م.

ـــ **تأملات في سورة البقرة** ، حسن محمد باجودة ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ط ١ ، د .ت.

ـــ **تأويل مشكل القرآن** ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار التراث ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـــ ـــ ١٩٧٣م .

ـــ **التصوير البياني** ، محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط ٤ ، ١٤١٨هـــ ـــ ١٩٩٧م .

ـــ **التعبير الفني في القرآن** ، بكري شيخ أمين ، دار الشروق ، ط ٢، ١٣٩٦هـــ ـــ ١٩٧٦م.

ـــ **تفسير البحر المحيط** ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي ، دراسة وتحقيق عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض ، شارك في تحقيقه : زكريا النوتي وأحمد الجمل ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣هـــ ـــ ١٩٩٣م .

ـــ **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل** ، أبو سعيد ناصر الدين البيضاوي، حققه وعلق عليه : محمد صبحي بن حسن حلاق ومحمود أحمد الأطرش ، دار الرشيد ، دمشق ـــ بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـــ ـــ ٢٠٠٠م .

ـــ **تفسير التحرير والتنوير** ، محمد الطاهر ابن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، د . ط ، د .ت.

ـ **تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .

ـ **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب** ، فخر الدين الرازي ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، د . ط ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

ـ **تفسير المراغي** ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر ، د . ط ، د . ت .

ـ **التفسير الواضح** ، محمد محمود حجازي ، دار التفسير ، القاهرة ، ط ١٢ ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

ـ **تلخيص البيان في مجازات القرآن** ، الشريف الرضي ، حققه وقدم له وصنع فهارسه : محمد عبد الغني حسن ، دار إحياء الكتب العربية " عيسى البابي الحلبي وشركاه " ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

ـ **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي** ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق وتعليق : إبراهيم عطوه عوض ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، د . ط ، د . ت .

ـ **الجامع لأحكام القرآن** ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

ـ **جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام** ، ابن القيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م .

ـ **الجمان في تشبيهات القرآن** ، عبد الله بن ناقيا البغدادي ، حقّقه وشرحه : محمد رضوان الدّاية ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

ـ **حاشية الشهاب المسمّاة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي** ، شهاب الدين الخفاجي ، ضبطه عبد الرّزاق المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ،هـ ـ ١٩٩٧م .

ـ **حاشية العلامة الصّاوي على تفسير الجلالين** ، أحمد بن محمد الصاوي ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، د . ت .

ـ **خصائص النظم في سورة " القمر "** ، عوض بن معيوض الجميعي ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

ـ **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز** ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

ـ **دلائل الإعجاز** ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .

ـ **ديوان أبي الطَّيّب المتنبي بشرح أبي البقاء العكْبَري المسمَّى بالتّبيان في شرح الديوان** ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السَّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان ، د . ط ، د . ت .

ـ **الرسالة التبوكية** ، ابن القيم ، علق عليها : أبو أسامة سليم بن عبد الهلالي السلفي ، مكتبة الحرّاز ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، شهاب الدين محمد الألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

ـــ **سر الفصاحة** ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق : علي فودة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٤هـــ ١٩٩٤م .

ـــ **شرح أشعار الهذليين** ، أبو سعيد الحسن بن الحسين السُّكّريّ ، حققه : عبد السَّتار أحمد فرّاج ، راجعه : محمود محمد شاكر ، دار العروبة ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .

ـــ **شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي** ، تأليف : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ط ٢ ، ١٣٨٠هـــ ـــ ١٩٦٠م .

ـــ **شروح التلخيص** وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي وقد وضع بالهامش كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص جعله كالشرح له وحاشية الدسوقي على شرح السعد ، دار السرور ، بيروت ـــ لبنان ، د . ط ، د . ت .

ـــ **الصحاح تاج اللغة وصحَاح العَربية** ، إسماعيل بن حمّاد الجوهَري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـــ ـــ ١٩٨٢م .

ـــ **الصناعتين ـــ الكتابة والشعر ـــ** ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، د . ت .

ـــ **الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** ، يحيى بن حمزة العلوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ١٤٠٢هـــ ـــ ١٩٨٢م .

ـــ **علم البيان** ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، د . ط ، د . ت .

ـــ **علوم البلاغة** ، أحمد مصطفى المراغي ، دار الآفاق العربية ، ط ١ ، ١٤٢٠هـــ ـــ ٢٠٠٠م.

ـــ **فتح الرحمن ـــ شرح ما يلتبس من القرآن ـــ** ، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ، قرأه وعلق عليه : يحيى مراد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤هـــ ٢٠٠٣م.

ـــ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، علق عليه : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤١٢هـــ ـــ ١٩٩٢م .

ـــ **فروق دلالية بين أنواع الاستعارات** ، عبد الحافظ إبراهيم البقري ، ط ١ ، ٢٠٠٤م .

ـــ **فن التشبيه** ـــ بلاغة . أدب . نقد ـــ ، علي الجندي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٢ ، ١٣٨٦هـــ ١٩٦٦م .

ـــ **في ظلال القرآن** ، سيد قطب ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، د . ت .

ـــ **الكامل في اللغة والأدب** ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ـــ بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـــ ـــ ١٩٩٧م .

ـــ **الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، أبو القاسم جار الله الزمخشري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٩٢هـــ ـــ ١٩٧٢م .

ـــ **كشف المعاني في المتشابه من المثاني** ، بدر الدين بن جماعة ، تحقيق : عبد الجواد خلف ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤١٠هـــ ـــ ١٩٩٠م .

ـــ **الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي** ، محمد الحسن على الأمين أحمد ، المكتبة الفيصلية ، ١٤٠٥هـــ ـــ ١٩٨٥م .

ـــ **لسان العرب** ، ابن منظور ، الدار المصرية ، د . ط ، د . ت .

ـــ **مباحث في علوم القرآن** ، صبحي الصالح ، دار العلوم ، بيروت ـــ لبنان ، ط ١٦ ، ١٩٨٥م.

ـــ **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، ضياء الدين بن الأثير ، قدّمه وعلق عليه : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، ط ٢ ، د . ت .

ــ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، ابن عطية الأندلسي ، تحقيق : المجلس العلمي بتارودانت ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

ــ **مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم (الأسماء المقترنة)** ، نجلاء كردي ، ط ١، ١٤٢٣هـ .

ــ **معاني القرآن** ، أبو زكريا الفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

ــ **معترك الأقران في إعجاز القرآن** ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، د . ط ، د . ت .

ــ **المعجم الوسيط** ، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزّيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المكتبة الإسلامية .

ــ **معجم مقاييس اللغة** ، أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ٢ ، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م .

ــ **مفتاح العلوم** ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زَرزُور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

ــ **مفردات ألفاظ القرآن** ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، الدار الشّاميّة ، بيروت ، ودار القلم ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

ــ **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللّفظ من آي التنزيل** ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، تحقيق : سعيد الفلاّح ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

ــ **من بلاغة القرآن** ، أحمد أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٣ ، ٢٠٠٤.

ـ **موسوعة الأمثال القرآنية** ، محمد عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

ـ **نظرات في البيان** ، محمد عبد الرحمن الكردي ، مطبعة السعادة ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٦م .

ـ **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور** ، برهان الدين البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

ـ **نقد الشعر** ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ .

ـ **النكت في إعجاز القرآن للرماني** ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ .

ـ **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز** ، فخر الدين الرازي ، تحقيق ودراسة : بكري شيخ أمين ، دار العلم ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٥م .

فهرس الموضوعات